المشرق

حزيران ١٩٢٩

الغرائب النفسية

بازاء الروحانية الزائفة والروحانية الحقة

بحث انتقادي فلسفي

للاب شرل ايلا اليسوعي

١

للمرحوم الدكتور يعقوب صرّوف ، في المقتطف الاغرّ ، عدّة مقالات موضوعها الغرائب النفسية مثل مظاهر ما تحت الضمير (*la subconscience*) وتأثير العقول بعضها في بعض بدون ما تعبير ظاهر وحتى عن بعد ، والتنويم ، والاستهواء ، وتعدّد الشخصية ، وما يُعزى الى « الوسطاء » من اصعاد ارواح الاموات ومناجاتها ، الى غير ذلك ممّا وصف الكاتب المذكور كيفية حدوثه الظاهر ، فحاول تعليله علمياً .

وقد طُبعت مؤخرًا هذه المقالات على حدة ، مجموعةً في كتاب « رسائل الارواح » وأُهديت منه نسخة الى مجلّتنا . فسُئلتُ ان الخّص لقرّاء « المشرق »

اهمّ ما يستدعي الاستغراب من الحوادث النفسية ، وان ابسط كيفية تعليلها ليس في نظر العلم الطبيعي والفلسفة النفسية الاختبارية (*Psychologie expérimentale*) فحسب ، بل في نظر العقلية منها (*Psychologie rationnelle*) بما تستمدّه من علم ما وراء الطبيعة العام(*Ontologie, Métaphysique générale*) وان كان صاحب « رسائل الارواح » ممّن ، على ما يظهر ، لا يحفلون كثيراً بهذا الفرع من الفلسفة.

ولمّا كان القسم الاوفر والاهمّ من مقالات المنشىء المرحوم[1] يدور حول مناجاة الارواح ، فاني اقصر القول على الموضوع ذاته ولا اعالج غيره الّا بالعرض.

وقد سبق في المشرق للمرحوم الاب لويس رنزفال اليسوعي مقال[2] في الموضوع ذاته ، وللابوين يوسف مونجان ويوسف منى اليسوعيين مقال آخر[3] فلا نعيد اقوالهم الا ملخّصةً وعند الاقتضاء.

ايضاحات ومرويات عن مناجاة الارواح[4]

مناجاة الارواح ، ويُقال لها ايضاً السپيريتسم ، هي اتصال بعض الاحياء ، اتصالاً واقعياً او مزعوماً ، بارواح الموتى ومحادثتها بطرق مختلفة للاستدلال على مكنونات الامور ، ولاسيما اسرار العالم الآخر.

وفي زعم المناجين والذين يتولّون امر تنويمهم ، والذاهبين مذهبهم ان الارواح لا تناجي كل الاحياء. بل اشخاصاً عددهم قليل بالنسبة الى سائر البشر. هؤلاء وحدهم يمكّنهم مزاجهم وحالتهم النفسية ، ولاسيما الغيبوبة الناشئة عن التنويم ، من الاتصال بعالم ما وراء القبر . فيُدعون « وسطاء » (*médiums*) لتوسّطهم بين دنيانا والاخرى.

١) رسائل الارواح — مطبعة المقتطف والمقطم بمصر — سنة ١٩٢٨ — وفي الكتاب مقالة واحدة (ص ١٨٣) لغير المؤلف ، وهي رسالة بقلم السيّد فيليب حتي ، من كليڤلند باميركا . هذا خلا ما جاء في الكتاب معرّباً عن بعض المجلات الاجنبية.

٢) المشرق (٧ [١٩٠٤] : ١١٢١ — ١١٢٨)

٣) المشرق(١٩ [١٩٢١] : ٢٧٨ — ٢٩٠ و ٣٥٢ — ٣٥٨)

٤) في تاريخ مناجاة الارواح ومزاوليها راجع مقالة الابوين موبخان ومنى (ص ٢٧٩) و (L. Roure : *Le Merveilleux spirite, Paris, Beauchesne, 3e éd., 1919, p. 1-91*)

وقد ذكر الابوان مونجان ومنسى (ص ٢٨١) اهمّ الغرائب التي تُروى من هذا القبيل . ولم نعثر في كتاب «رسائل الارواح» على ما يختلف عن نوعها اختلافاً جديراً بالذكر. قال الابوان المذكوران :

١ – فمن ذلك وهو اكثر شيوعاً تدوير طاولة او اسكملة ، او قبعة افرنجية او سلة، وما اشبه ذلك ، باجتماع عدة اشخاص متسلسلين او بعمل احد الوسطاء منفرداً.

٢ – ومثلها انتشاراً طرقات تضربها الطاولة على الارض اصطلاحاً ، دلالةً على اجوبة مقصودة ، عند وجود حلقة من الاشخاص حولها او وسيط من الوسطاء.

٣ – واقل شيوعاً مما سبق كتابة الطاولة بقلم يعلّق في قائمتها على ورق يوضع تحت القلم ، بشرط وجود الاشخاص او الوسيط السابق ذكرهم.

٤ – او يجعلون ايضاً قلماً في يد الوسيط في يقظته او نومه فيجري القلم كاتباً على الورق ما يوحي اليه من قوة اجنبية دون معرفته ومشيئته الشخصية.

٥ – ومثلها ندرةً ان يتكلف الوسيط النائم او اليقظان الجواب شفاهاً او بالاشارة على ما يُلقى اليه من الاسئلة باسم الروح الساكن فيه.

٦ – واغرب من ذلك واندر وضع ورقة او لوح ، بعيدين قليلاً عن الوسيط وعليها قلم. وبعد قليل اذا كُشف عنها يظهران وعليها سطور مكتوبة.

٧ – ومثلها غرابة وندرة ان ينتقل الاثاث من تلقاء نفسه من مكان الى آخر.

٨ – ان يُسمع صوت طرقات على جدران المحل حيثما توجد طاولة او بعض الاثاث.

٩ – واغرب من كل ما سبق ظواهر من النور واشباح يُريها الوسيط او يرسم صورها بالفوتوغراف او يأخذ بعض آثارها.

راي منشىء «رسائل الارواح» في واقعية المرويات عن مناجاة الارواح

تُرى هل وقعت فعلاً حوادث غريبة كهذه أم يمكن ان تقع ؟ تلك مسألة لا بدّ من البتّ فيها قبل الانتقال الى مرحلة التعليل . والا فعبثاً نحاول ايجاد سبب ما لا وجود له. ولم يكن المرحوم الدكتور صروف ليغرب عن باله ما لهذا البحث الانتقادي التمهيدي من المكانة والخطورة . والحق يقال انه بذل جهده في ايفائه حقه ، بالرغم من شغفه بعلماء الطبيعة من انصار مناجي الارواح ، ولاسيا الانكليز والاميركان ، فيكاد لا يأخذ شيئاً الا عنهم. واما رأيه في الامر فهو ، على ما ظهر لنا ، النفي اما لواقعية مناجاة الارواح ، واما لخروج ما دُعي باسمها عن نطاق القوى الطبيعية. اجل اننا نراه يصرح[1] (ص٢٥) قائلاً:

١) راجع ايضاً مقدمة الكتاب ، ص ٦ .

« قد يظنّ البعض اننا ننفي مناجاة الارواح وقراءة الافكار نفياً باتاً . وهذا غير صحيح . والصحيح اننا نرتاب فيها لاننا لم نقف حتى الآن على ما يثبتها اثباتاً ينفي كل ريب . »

على انّ هذه العبارة يردف لها حالاً القول التالي :

« وكل ما اطلعنا عليه من هذا القبيل وكل ما امتحناه بانفسنا لم نجد فيه ما يخرج عن التخيل والخداع (١ أو ما لا يُفسَّر بالاستهواء الذاتي او ببعض النواميس الطبيعية المعروفة او ما لا يمكن ردّه الى غيره ممّا لا يتعذر تفسيره او ما فيه شبهة قوية »

وعنـدي ان الموقف الموصوف بهذا الكلام لا يختلف عمّا يدعوه المناطقة تأكيداً ادبياً وهو ما ليس فقط يُدعَم بحجج عديدة قوية ، بل لا يقوم في وجهه سوى الشك السلبي الـذي لا لوم على العقل الرزين الفطني في ان يرذله ، لعدم استناده الى ادلةٍ جدّيّة . ولا نخال اهل النقد التاريخي يطمعون بتأكيد فوق الادبيّ هذا .

وعليه فالمفهوم من التصريح السابق ذكره ان صاحبه ينفي صحة مناجاة الارواح ، او قلّما يكون ، ما رُويَ عنها الى الآن . وهذا ما يُستدلّ عليه ايضاً من مواضع كثيرة من الكتاب الموصوف .

ولسنا ممّن يلوم المنشىء الفاضل على موقفه هذا ، اللهمّ اذا ما قصرنا الاعتبار على الغالب الاغلب بكثير من حوادث « مناجاة الارواح » . فان ثمّة من ضروب الخداع والانخداع والشعوذة والاوهام ما لا يخفى على ذي بصيرة .

ولا حاجة ان نعود الى ذكر الادلّة الواقعية على هذه الحقيقة ، وقد جاءت عديدة واضحة في كتاب « رسائل الارواح » كما في مقالة « المشرق » المذكورة آنفاً . وحسبنا هنا الاشارة الى الامتحانات العشر التي أجرتها بباريس ، من ٦ ت ٢ الى ٨ ك ١ سنة ١٩٢٣ ، لجنة مؤلّفة من خمسة علماء من السوربون . وكانت النتيجة ، على ما اثبتته جريدة الاوپينيون في ٢١ ك ١ من العام ذاته ، اجماع اعضاء اللجنة على اثبات غش الوسيط الشهير غوزيك (Guzik) .

ولا ينكر خداع الوسطاء ، وانخداعهم ، اشدُّ العلماء ميلاً الى تصديق ترّهاتهم بل طالما اقرّ بذلك الوسطاء انفسهم ، بعد ان يئسوا من التملّص من الفضيحة .

١) ويزيد صاحب المقدمة (ص ٦) : « والانخداع »

وزد على ذلك شغف الوسطاء ومنوميهم بالظلام . فلا يُصعدون الارواح الا فيه ، مُدّعين انها تتأذى من النور . وناهيك من ترّهات وخرافات صبيانية يزعمون ان الارواح تتلهّى بها وتلهي بها وسطاءها.

ومن ثمَّ لا نستغربُ ما اورده مراسل المقتطف ، السيد فيليب حتي (وتراه في ص ١٨٣ من كتاب رسائل الارواح) ، من اعمال المشعوذ هوديني في سبيل اظهار مكر الوسطاء ولاسيما رنّر (Renner) الاميركي . بل قد نستغرب الضجة التي يقيمها الاديب المذكور حول نجاح هوديني . فيتخيل القارئ ان هذا المشعوذ قد اتى البشرية برأس قاتل كليب وخلصها من اعظم البلايا ، او ان الكاتب قد هبط عليه وحي من السماء اذ كتب ما يلي (ص ١٨٦) :

« عافاك الله يا هوديني ملاك النقمة السالّ سيفه فوق رؤوس الدجالين ! انك قمت بخدمة للعلم والحقيقة عجز عنها اساتذة السيكولوجيا في جامعات اوربة واميركة . انت ساحر وسحرك حلال . اما هؤلاء المناجون فسحرهم يقضي عليهم وما فلَّ الحديد الّا الحديد . . . . فانت ظافر ومناجو الارواح خاسرون ونحن الاحياء نتمتع براحة الفكر الناتجة عن الايقان بان ارواح موتانا لا ترعجها واسطة الوسطاء ولا يمسها تدجيلهم . »

فيا لسوء طالع البشرية التي قُضي عليها ان تظلّ ، حتى مجيء هوديني في اواخر الربع الاول لقرننا هذا ، تتسكّع في غياهب الانخداع ، لا يرتاح لها بال من قبيل ارواح امواتها !

امّا نحن فلا ندري اذا كان آباء مجمع بلتيمور الثاني ، كلّهم او بعضهم ، قد درَسوا في جامعات اوربة او اميركة . لكننا نعلم ان هذا المجمع ، المنعقد عام ١٨٦٦ ، اي قبل هوديني بستين سنة ، قد حذّر المؤمنين(١) من خداع وانخداع المناجين .

ومن الغريب ايضاً ان يذكر ، في هذا الصدد ، السيد فؤاد صرّوف ، صاحبُ المقدمة (ص ٦) ما عاناه غليليو وفرنسيس باكون وما نالته الطريقة التجريبية من المقاومة « من قبل الفلاسفة الأرسطيين ومن ذهب مذهبهم من الادباء والكتّاب والوعّاظ » كأنَّ هذه نغمةٌ لا غنى عنها ، كلما جرى الحديث

١) راجع مقررات هذا المجمع (الباب الاول ، الفصل ٢ ، البند ٦) في المجلد ٣ من (*Collectio Lacensis*) العمود ١٠٦ .

على ما لهُ بعض العلاقة بالعقائد الدينيـة . وعلى كلّ حال فلينعم الآن بالًا الكاتب الفاضل فها انّ « رجال الكنيسة » ، مهما قاوم بعضهم ، على مـا يزعم (ص ٧) « حقـائق الجيولوجيا والبيولوجيا حتى في هذا العصر » ، قـد اتفقوا مع المقتطف على انكار اكثر مزاعم ذوي الروحانيـة الزائفة ، ايّة كانت مقدرتهم في العلوم .

تعليل ما يروى عن مناجاة الارواح

الاسباب الطبيعية

قال الابوان مونجان ومنّى (ص ٢٨٨) :

« لا يمكن تعليل كل ظواهر السپيرتيم بالشعوذة والخداع وانما يمكن نسبة بعضها الى علل طبيعية. » .

وصاحب « رسائل الارواح » على الرأي ذاته .

ومن هذا القبيل ما طالما تحقّقه العلماء من « انّ بعض الامراض كالهستريا والجولان في النوم (*somnambulisme*) ، والتنويم ، تشبه اعراضها حالـة الوسطاء في السپيرتيم . ويلوح لمن درسها ان في الانسان بعض القوى الخفيّة التي لا يدركها بالشعور وانما هي نتيجة تصرّفه وعاداته السابقة . فهذه القوى تُبرز اعمالها في بعض الظروف ، وبفعل بعض التأثيرات[1] » ولاسيما عندما يقع الوسيط في حالة الغيبوبة بفعل الاستهواء والتنويم .

وهذا مـا يدعوه النفسانيون الاختباريون اعراض مـا تحت الضمير (*phénomènes de la subconscience*)[2] . ولا تنحصر هذه الاعراض في حالة تشوُّش الدماغ ، وتخدير الاعصاب ، بالانواع المختلفة . فانهـا تظهر حتى في اصحّاء الجسم والعقل .

وقد ورد في « رسائل الارواح » (ص ٨—١٢ وغيرها) اكثر من مثل على ظواهر كهذه .

ومن مظاهر هذا الضمير الخفي ما رواه الدكتور صرّوف عن الفتاة ماري مايو (ص ١٨٩) التي كان ينوّمها الكولونل دي روشا . فاذا ما وقعت في الغيبوبة ،

١) مونجان ومنى ص ٢٨٩ ٢) ويسمّيه الدكتور صروف : العقل الباطن او (*subliminal*) اي ما « تحت عتبة الوجدان ».

كانت تزعم أنها عاشت سابقاً على الارض مرتين قبل ان تتقمص يوم ولادتها الاخيرة بشخصيتها الحاضرة. قال الدكتور صروف (ص ٢٠٥):

« واذا تقرَّر . . . ان عقلنا الباطن (اي الوجدان الخفي) يحفظ محفوظات كثيرة قد لا نكون شاعرين بها ، وان المؤثرات الخارجية (ومنها التنويم) تؤثر في الذهن الباطن وتولّد فيه صوراً منطبعة على تلك المؤثرات ، هان تفسير ما بدا من الفتاة ماري مايو . . . وذلك ان عقلها الباطن حفظ كثيراً مما سمعته او قرأته في حياتها ، فتذكرت بعضه وهي في حالة الاستهواء . ثمَّ ان مسائل الكولونل ده روشا ولّدت في ذهنها صوراً جديدة جرَّدتها من محفوظاتها . فلما قال لها من كنتِ قبلما ولدتِ اخيراً ؟ قالت كنتُ امرأةً وقصّت قصة امرأة تعرفها او سمعت او قرأت عنها . . . . »

وغنيٌّ عن البيان انه لا حاجة ، لتفسير اعراض كهذه ، الى الالتجاء الى التقمُّص ، كما يذهب بعض انصار مناجاة الارواح ، ولا الى تعدّد الشخصيات وتواليها بعضاً لبعض في الانسان الواحد ، ولا تعدّد القوّة العقلية او الوجدانية في المرء الفرد . فيشهد الاختبار انَّ ما يُعبّر عنه انه على سطح الضمير ، وما يُقال انه تحته ، لا يحلّان في العقل منطقتين منفصلتين مستقلتين الواحدة عن الاخرى ؛ بل تراهما غالباً متّصلين لا ينفكّان يؤثران الواحد في الآخر ويتعاونان. فقد جرى لك اكثر من مرّة انك تحدّث شخصاً . وفي اثناء مخاطبتك له يفوتك امرٌ ما او لفظة فلا تعود تتذكرها . فتقول : تأنَّ عليَّ ريثما تعود اليَّ الذكرى . وتواصل الحديث . فغالباً لا تمضي بضع دقائق الّا ويرجع اليك الفكر او اللفظة ، فتفوه بها في الحال . ترى هل عادت اللفظة من ذاتها ؟ ام ليس عقلك هو الذي كان يفتّش عنها ، بينما كان يواصل الحديث في امر آخر.

كذلك لا حاجة ، لكشف غوامض العقل الباطن ، الى ابتداع «جوهر عام يشترك فيه جميع الناس» مما يعود بنا الى الصور الافلاطونية ، او الى احلام اصحاب مذهب الحلول . وكأني بالدكتور صروف قد انصرف الى المزح والهزال اذ قال (ص ١٢) ، بعد ان استغرب الرأي شديداً : « ولكن تُفسَّر به امور كثيرة مما يعسر تفسيره بغيره . واذا اثبتته المباحث التالية اثباتاً ينفي الريب ثبت ان الناس عائلة واحدة او اعضاء جسم واحد مشتركون في نفس واحدة.» !!!

ولا نكرر هنا ما جاء في «رسائل الارواح» ومقال الابوين مونجان ومنسى من تفنيد مزاعم اهل السبيرتيسم ولاسيما ، على ما بيّن الابوان الفاضلان ،

محاولتهم انشاء ديانة جديدة عقيمة سخيفة، مبنية على وحي الارواح الموهوم[1].

لكن، قبل ان نختم هذا القسم من بحثنا لابد من كلمة وجيزة في «المائع الحيوي» (*fluide vital*). قال الابوان مونجان ومنسي (ص ٢٨٤):

« وان سألت هؤلاء المتشيعين الى المذهب الروحاني : وكيف تستطيع ارواح مجرَّدة عن المادة ان تتصل بعالمنا هذا الهيولي وبالبشر المتجسدين؟ يجيبونك بقولهم: ان للجسم البشري مائعاً يدعونه بالعنصر الكوكبي (corps astral) او العنصر المحدق بالروح (périsprit) (٢) يستطيع الانسان ان يبثه من جسمه اذا شاء. ويمكن الوسطاء تمويهه بنفوذ الارواح. فهذا المائع هو الذي يدير الطاولات ويرفعها عن الحضيض..... فالوسطاء على زعمهم يجعلون هذا المائع في صورة الارواح التي تستمدّه لناياتها.... »

ولا حاجة الى الاسهاب في تفنيد هذه المزاعم. فليس لمروّجيها الّا واحدة من اثنتين: فاما يكون هذا المائع مادياً واذ ذاك كيف تتصل به الارواح؟ واما يكون روحياً وعندئذٍ كيف تبعثه الاجسام؟ بل كيف يصل بها الارواح وكيف لا تستغني عنه وهو لا يختلف عنها عنصراً؟.

على انه قد يكون في الخطأ بعض الصواب. فقد جرت في السنين الاخيرة اختبارات علمية عديدة أُعدّت لها آلات خصوصية. وقد وصفها الاب رور[3]. وقد يستنتج منها ان في الانسان، ولاسيما في يديه، قوَّة طبيعية ماديّة، تؤثّر عن بعد، حتى في نموّ النبات.

ولا بأس من تسمية هذه القوَّة، قلما يكون على سبيل الاستعارة، «مائعاً حيوياً او بشرياً». ولكن تُرى ماذا يكون كنه هذا المائع وما هو قوامه؟ وهل وجوده اكيدٌ؟ وهل يجوز ان يُنسب اليه ما يُروى من الغرائب عن تدوير الطاولات كما وعن قراءة الافكار (*télépathie*) كأن دماغ زيد يبعث مائعه الحيوي الى دماغ عمرو، فيتموّج المائع كما تتموّج كهرباء اللاسلكي، فتنطبع صور مخيلة زيد في مخيلة عمرو او تهيجُ فيها مثلها؟ كل هذا لم يبح الينا العلم بعد بسرّه. (للبحث صلة)

١) راجع Roure ص ٢٥٨ – ٣٢٨

٢) ويسمّيه الدكتور صرّوف (ص ١٣) اكتوبلازم.

٣) ص ٩٢ – ١٥٧

امالي السنة : ٣

الحجّ والرقص

بقلم الاب مرمرجي الدومنيكي

من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

٢

٥ً على ان الساميين ، وخصوصاً عصرَ كانوا من اهل البادية ، كانت الاعياد تتم عندهم في الاسواق ، وبعض المزارات او المقادس اي البيوت المقدسة او الهياكل . واذ كانت الزيارة تستلزم الانتقال الى المحل الذي يزار ، جاءت كلمة «حگ» بمعنى القصد او التوجه الى المكان المقدس الذي فيه يقام الاحتفال او العيد بمناسكه ، واهمها الطواف او الرقص حول الصنم او مذبحه او هيكله . والشريعة الموسوية كانت تأمر اليهود بالحضور امام الرب لزيارة هيكله ثلاث مرات في السنة[1]

وبهذا المعنى الاخير قد وردت كلمة «الحج» في العبرية ، والسريانية ، ولاسيما في العربية ، كما نوهنا به في صدر المقال ، وفضلًا عن العرب الوثنيين ، قد سمعت في كلام العرب النصارى ؛ فانهم اطلقوها على الحفلات الدينية ، وزيارة

١) اعياد اليهود المهمة ثلاثة ، الاول : عيد الفطير ؛ ويدعى بالعبرية : (Ḥag ha maṣṣot) الثاني : عيد الاسابيع او عيد الحصاد . وبالعبرية : (Ḥag ha šabo'ōt او Ḥag ha qaṣir) الثالث : عيد المظال او جني الاثمار ، وبالعبرية : (Ḥag ha sukkōt او Ḥag ha asif) راجع ، في ذا الشأن ، سفر الخروج ٢٣ : ١٦ ؛ وسفر التثنية ١٦ : ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ولاسيما عدد ١٦ وهو : «ثلاث مرات في السنة يحضر جميع ذكرانك امام الرب الهك في الموضع الذي يختاره ، في عيد (ḥag) الفطير ، وعيد (ḥag) الاسابيع ، وعيد (ḥag) المظال ؛ ولا يحضروا امام الرب فارغين . » ومما يجدر بالذكر ان كل واحد من هذه الاعياد المختلفة تسبقه كلمة (ḥag) في النص العبري ؛ وما ذلك الّا للدلالة على ما كان مهماً في العيد ، اي الرقص الديني ، وهو المسمى في الاصل (ḥag) ، فاطلق على الاحتفال والاجتماع ذاته .

الاماكن المقدسة ، كبيعة او كعبة نجران. قال ياقوت عن دير نجران (معجم البلدان ٢:٧٠٣) ان بني عبد المدان بنوه مربعاً ... فكانوا «يحجونه» هم وطوائف من العرب ممن يُحِل الاشهر الحرم ، ولا يحجّ الكعبة. ويحجه خثعم قاطبة» وقد استعملها ابن القلانسي في كتابه ذيل تاريخ دمشق (ص ٦٩) لزيارة بيعة القيامة «هذه بيعة... تعظمها النصارى افضل تعظيم «وتحجّ» اليها عند فصحهم.»[1]

فاذا عرفت هذا ، اعلم ان العرب لم يختلفوا في مناسكهم عن اخوانهم الساميين كاليهود والارميين . فقد كان من عادتهم الرقص الديني ؛ الّا انهم لم يسمّوه حجّاً[2] ، بل دعوه دوارًا او طوافاً. دونك شهادة ابن الكلبي في صدد ما ذكرناه ، قال : «وكان الذي سلخ بهم (اي العرب) الى عبادة الاوثان والحجارة انه كان لا يظعن من مكة ظاعن الّا احتمل معه حجرًا من حجارة الحرم تعظيماً للحرم وصبابةً بمكة . فحيثما حلّوا وضعوه «وطافوا به كطوافهم بالكعبة»[3] وقال ايضاً «واستهترت العرب في عبادة الاصنام ؛ فمنهم من اتخذ بيتاً ، ومنهم من اتخذ صنماً ؛ ومن لم يقدر عليه ولا على بناء بيت ، نصب حجرًا امام الحرم وامام غيره مما استحسن ؛ ثم «طاف به كطوافه بالبيت» وسمّوها الانصاب»[4] ثم زاد في موطن آخر ، مسمّياً الطواف «دوارًا» :

١) نقلًا عن كتاب النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ، لشيخو ، ص١٧٩.

٢) بل قل سمّوه «حجاً» بما ان العمل الدالّ الحرفُ عليه كان معروفاً ومتداولًا بينهم؛ وله اسمان آخران وهما «الدوار والطواف». ولكن اهل المعاجم لم يدوّنوه ، اما لتغلّب المنى الاسلامي ، واما تعمدًا ، لاستنكافهم ، وهم محمّديون ، من ذكر الرقص الوثني في جملة مناسك احد اركان دينهم ؛ كما ترى من المنقول ، في متن المقال ، عن تاج العروس بان الزمخشري وغيره كرهوا ان يستعملوا لفظة «الدوار» للطواف بالبيت . وكأني بهم قد نسوا او تناسوا ان الحج عينه ، بجمع مناسكه ، اي رقصه وغيره ، كان «وثنياً» فجعله محمد «اسلامياً.»

٣) كتاب الاصنام لابن الكلبي ، طبعة مصر الاولى ، بتحقيق الاستاذ احمد زكي باشا، ص٦

٤) كتاب الاصنام ص ٣٣ . – وحتى اليوم ، في الرقص الجاري ابان «موسم النبي موسى» عند المسلمين ، في القدس ، قد بقي اثر لهذه الانصاب او الاصنام التي كان العرب القدماء يدورون او يطوفون (او قل يحجّون) حولها اي يرقصون ؛ وهذا الاثر «نُصُب حي» الا وهو المزمّر بالشبّابة او المطبج ، القائم في الوسط وحوله تحوم حلقة الراقصين.

« وكانت للعرب حجارة غُبْر منصوبة ، يطوفون بها ويعترون عندها ، يسمّونها الانصاب ، ويسمّون الطواف بها « الدوّار ». وفي ذلك يقول عامر بن الطفيل:

(وقد اتى غنيًا بن اعصر وهم « يطوفون بنصب لهم » ، فرأى في فتياتهم جمالاً ، وهنّ يطفن به . فقال) :

« الا يا ليت اخوالي غنيًّا عليهم ، كلما امسوا ، دوارُ » (١)

وقد ذكر صاحب التاج من شعر امرئ القيس هذا البيت ، المدعو فيه «دوارًا» نفسُ الصنم الذي كانوا يطوفون حوله:

«فعنَّ لنا سربٌ كأن نعاجه عذارى « دوار » في ملاء مذيَّل

اراد بالسرب البقر ، ونعاجه اناثه . شبّهها في مشيها وطول اذنابها « بجوار يَدُرنَ» حول صنم ، وعليهن الملاء المذيّل ، اي الطويل المهدّب . قال شيخنا : قيل انهم كانوا يدورون حوله «اسابيع»[٢] كما يطاف بالكعبة . ونقل الخفاجي عن ابن الانباري : حجارة كانوا يدورون حولها تشبيهاً بالطائفين بالكعبة . ولذا كره الزمخشري وغيره ان يقال «دار بالبيت» بل «طاف بالبيت»[٣]

فالظاهر اذن ان الطواف او الدوار مرادف لكلمة « الحج او الحك » في اول معانيه واعرقها قِدماً ، اي معنى الرقص الديني حول الحجارة والنصب او الذبيحة[٤] او الصنم او البيت او الكعبة . وهذا الذي كان جارياً في الجاهلية

١) كتاب الاصنام ، ص ٤٢

٢) الاسابيع جمع اسبوع ؛ وهو مأخوذ من الحرف السرياني «شابوع» الدال على السبعة من الايام او غيرها . ومعناه هنا ان كل مرة كانوا يطوفون حوله . وكذا القول عن الكعبة . كانوا يدورون سبع دورات .

٣) تاج العروس ج ٣ ، ص ٢١٥ و٢١٦ .

٤) وَصَفَ القديس نيلس (من اهل القرن الرابع) (راجع مجموعة الآباء اليونانيين لمين ، المجلد ٧٩ العامود ٦١٢) كيف كان عرب شبه جزيرة سيناء يجرون الطواف (اي الرقص) حول الضحية . ويستدلّ من كلامه ان هؤلاء القوم لم يكونوا يعبدون الهًا ولا يكرمون صورة او صنم اله ، بل كانوا يعترون او يضحّون لنجم الصبح عند طلوعه . فكانوا يأتون بجمل ابيض يُنيخونه ويشرعون بالدوران حوله (اي يحجّون) على نغمات المغنين والمزمرين . وعند الدورة الثالثة ، يضرب زعيم «الحاج» بسيفه احدى عضلات الجمل ، فيرتشف من دمه ، ويتبعه الحاضرون ، فياخذ كل منهم قطعةً من الجزور ، حتى لا يدعوا منه شيئًا باقيًا ، لا لحمًا ولا عظمًا ولا جلدًا ، قبل شروق الشمس .

قد ابقاه النبي في الاسلام. وحتى اليوم ، على ما ذكر البتنوني ، من عادة البدو ، ولاسيما اهل الشروق ، من عتيبة ومطير ، عند وفودهم الى مكة ، في الخُمس الاول من ذي الحجة ، ان يدخلوا المسجد الحرام جماعات جماعات ، فيطوفوا طواف القدوم ، ماسكين بعضهم ايدي بعض ، لا يوقفهم زحام المطاف بغيرهم بل ياخذون في طريقهم كل من صادفهم فيه ، وهم يقولون «الله ، محمد. لبيك، لبيك ؛ حجّيت تَقبَلْ أو لَا تقبلْ ، حجّيتْ ، الا تقبل. » واذا كان معهم نسوة ، تراهنّ في مؤخرتهم ماسكات باكتافهم . زد على هذا ان الحُمْس (اي المتشدّدين من قريش ، ايام الوثنية) كانوا يجبرون الحجاج على ان لا يطوفوا الّا بثيابهم ؛ (اي ثياب الحُمس) فان لم يجدوا ، طافوا عراة بالبيت. وكانت المرأة في طوافها تضع عنها ثيابها ، الا درعها ، او رَهْدَها.[1] وهذا كله من قبيل الرقص الديني عند الساميين.

اما الحج بمعنى القصد الى مكة للنسك فكان عادة في الجاهلية انزلها محمد منزلة احد اركان الدين الاسلامي . وهاك ما جاء به في قرآنه ، في ذا الشأن:

« واذ بوّأنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئاً ، وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركّع السجود . وأذّن في الناس بالحج ، ياتوك رجالًا وعلى كل ضامر يأتين من كل فجّ عميق . . . ثم ليقضوا تفثهم ، وليوفوا نذورهم ، وليطوّفوا بالبيت العتيق.[2]

«واتموا الحج والعُمرة لله ؛ فان احصرتم ، فما استيسر من الهدى ؛ ولا تحلقوا رؤوسكم ، حتى يبلغ الهَدْي محلّه . . . الحج اشهر معلومات ؛ فمن فرض فيهن الحج ، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال . . .[3]

« واول بيت وضع للناس للذي ببكة ، مباركاً وهدًى للعالمين . فيه ايات بينات ، مقام ابراهيم ؛ ومن دخله كان آمناً ؛ ولله على الناس حج البيت من

---

١) الرحلة الحجازية ، لمحمد لبيب البتنوني ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ . ولسان العرب ج ٩ ، ص ٧٧ .

٢) سورة الحج : ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ . ٣) سورة البقرة : ١٩٦ ، ١٩٧ .

استطاع اليــه سبيلًا ؛ ومن كفر ، فان الله غني عن العالمين.»[1]

وادعاماً لهذا جآء في الحديث : « بُني الاسلام على خمس : شهادة لا اله الّا الله وان محمد رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلًا»[2]

وحدّ الحج شرعاً : القصد الى بيت الله الحرام ، باعمال مخصوصة ، واوقات مخصوصة ، والحج نوعان : الحجّ الاكبر ، وهو حجّ الاسلام ؛ والحجّ الاصغر ، وهو العُمرة . وافعال العُمرة شرعاً اربعة : الاحرام ، الطواف ، السعي بين الصفا والمروة ، الحلق ؛ ويمكن للمرء اتمامها وحده ، وفي ايّ وقت كان من السنة . اما الحجّ الاكبر ، فلا يجري الّا في اوائل ذي الحجة ، مع الحجّاج ؛ وافعاله هي عين افعال العُمرة ، يزاد عليها الوقوف في عَرَفة ، ورمي الجَمَرات ، ونحر الهَدْي .

* * *

زبدة المقال : « الحج او الحَكّ » كلمة ثنائية الاصل (وان كانت في عرف النحاة ثلاثية ، اي ح ج ج) وهي اسم صوت يدلّ على اجهاد النفس ؛ انتقل معناه الى معنى الرقص ، ثم الدوار ، (اي حلقة الراقصين او عملهم) فالاحتشاد ، فالموسم ، فالعيد ، فالقصد ، فالزيارة لاحد المقادس ، فالزيارة لكنيسة نجران عند نصارى العرب ، فلكنيسة القيامة عند عامة المسيحيين ، فزيارة الكعبة المكية ، اولًا عند اهل الجاهلية ، ثم عند المسلمين . وعليه نظن ان من قال بقول صاحب « لغة العرب » بان لفظة « الحجّ » تدلّ من اصلها على «الاجتماع لغاية دينية »[3] قد استند الى المعاجم العربية التي لا تحوي من معاني هذه الكلمة الا بعضها والحديثة منها .

فقد رأينا ان هذا الحرف يراد به في اللغـات السامية الرقص وانه مأخوذ من اسم الصوت الخارج من فم العامل المجهد نفسه كالحدّاد ، ومثله الراقص .

---

١) سورة آل عمران : ٩٠-٩٢ .

٢) صحيح البخاري : ج ١ ، ص ٦ .

٣) «لغة العرب» ، سنة ٦ ، جزء ، ص ٦٦ .

اجل ان بعض الرقص يتطلب الانضمام ، الا ان هـذه الكيفية ليست من ضرورة قوامه ، لانه لا يمكن للمرء ان يرقص وحده ، كما ظهر من مثل بنت يفتاح ، وبنت هيرودية . فضلاً عن هـذا فان الرقص ليس بمقصور على الحفلات الدينية ، بل يقع غالباً في الاحوال المدنية[1] . زد على ذلك ان ليس هناك من دليل على ان الحجّ الجاهلي او الحجّ الاسلامي يستلزم الاجتماع «من باب الحصر» فقد عرفنا ان الحج الاصغر او العُمرة يسوغ للرجل اتمامها منفرداً ، وفي اي فصل من فصول السنة ، فالالتئام اذن ، بذات حده ، ليس من جوهر معنى كلمة «الحجّ» ؛ انما هو صفة خاصة تضاف اليه ، فتكيفه بكيفية لم تكن فيه ، فتنوعه . ومثله كمثل الصلاة والدرس واللعب ؛ فان كلًّا منها لا يتضمن معنى الانضمام ، اذ يمكن اجراؤه على حدة . ولا يزاد عليه هذا المدلول الّا اذا اكمل باشتراك اشخاص كثيرين فيه ، كما لو صلّى الناس صلاة الجماعة في الكنيسة او الجامع ، او درس التلاميذ معاً في حلقة احد الاساتذة ، او لعبوا لعبة كرة القدم او غيرها . فكذا الحج يتصف بصفة الاجتماع فيدلّ على معناه اذا ادّاه كثيرون معاً ، واذا كان احد المعاني المتفرعة عن اصله يتطلب وجود الجمهور . مها يكن من الامر ، فلا تكون ، اذ ذاك ، دلالة «الحج» على الاجتماع الا دلالةً ثانوية ، مجازية .

هذه هي «نظريتنا» في اصل لفظة «الحجّ» ؛ بسطناها بطريقة تحليلية منطقية ، ألسُنية . وهي ، وان كانت غير مألوفة عند علماء اللغة العربية ، الّا ان املنا وطيد انها تسترعي انظار اهل الدقة والاختصاص . وعسى هذه الدروس الالسنية تنشئ رغبةً في نفوس نخبة من شبّان بلادنا المتعشقين العلم ، فيقبلوا على دراسة «الالسنية السامية» التي هم اقدر عليها ، واحرى بهم مزاولتها من ابناء الغرب المبرّزين فيها ، وان كانوا غرباء عنها ؛ لان موضوعها يفرض معرفة

١) عند بدو جزيرة سيناء ضروب من الرقص يشترك فيها الكثيرون ، ويمكن ايضاً ان ترقص فيها غادة وحدها بحضور الرجال والنساء ، وهي تدعى «الحاشية» . وهـذه اسماء انواع الرقص عندهم : الدَّحيَّة ، السامر ، المجوجار ، الزَّرَغة ، المَسرقية ، وكلها تجري في احوال اجتماعية لا مرجع لها للدين ، ولا للدين دخل فيها . (راجع تاريخ سيناء ، لنعوم بك شقير . ص ٤٣٨ وما يليها) .

اللغات السامية ، اي لغاتنا ولغات اجدادنا الساميين. وبذلك يتحقق متمنى العلّامة الاستاذ المغربي[1] الموفق والشاعر بان مقابلة الالسن السامية او «الالسنية السامية» من انفع العلوم لحلّ شيء كثير من غوامض القرآن ، وللاطلاع على اصول الالفاظ العربية ، والفاظ باقي اللغات السامية . ونظن ان هذا المقال ، بما نتج عنه من النتائج ، جاء مصداقاً لرأي حضرة الاستاذ ورأينا .

تذييل

قرأ السيد فردينان ايلا اول قسم من مقالنا هذا ، فتفضل بان ارسل الينا ، في القدس ، بالشواهد التالية ، تأييداً لقولنا . فحالاً بعثنا بها الى ادارة مجلة «المشرق» الغراء طالبين اثباتها في الحاشية . ونسدي الشكر لحضرة مفيدنا الكريم . ودونك كلامه بحرفه :

«الحج والرقص»

« لم يزل الشعب المصري ، حتى اليوم ، يقول « فلان يحجّ » ان هو هزّ جسمه «يمنةً ام يسرة» او من الامام الى الوراء وبالعكس . كنت يوماً اطالع كتاباً لذت لي مطالعته ، فكنت اترنح بتلاوته ، واهزّ رأسي ، بصورة غير منقطعة ؛ فدخلت عليّ فجأةً حماتي وقالت لي : «مالك تحجّ »

« ورأيت امرأة مصرية ترقص ولدها بين يديها ، وهي تقول له ، لاستدراجه : « حج ! حجيج ! (Heg , Hgeg) .

« في حلقة «الذكر » اذا تعب الدراويش ، في روحاتهم واهتزازهم ، صاروا يرددون ، بدلًا من الدعاء ، او الغناء ، او ترديد الاسماء الحسنى ، «الله حي ! الله حي ! » وهم ينطقون بكلمة «الله» بصوت خافت ؛ ويتنفسون على صدورهم تنشيطاً لانفسهم في رقصهم المتعب . وكل هذا جاء مصداقاً لملحوظاتكم » اهـ .

فردينان ايلا

بمصر

---

١) مجلة المجمع العلمي العربي (١٩٢٣) مجلد ٣ ، جزء ٣ ، ص ١٧ .

فوائد التحريج

بقلم انطوان باز

المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت ،
ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

١

لبنان لألفي سنة خلت : شجرٌ منبثق في اعالي وفي سفوح الجبال حتى وفي الاودية ، ارزٌ شاهق وغابات كثيفة ممتدّة من الجبل الى البحر كأنها رداء نضر التفّ به لبنانُ من اقصاه الى اقصاه ! شجرٌ يتغنّى بجماله الانبياء . فلا يقترب منهُ المحتطبُ الّا بخشوع ، ولا تمسّ اقدامه الفأس الّا لتتزيّن به قصور الملوك والعظماء ! تُنقل جذوعه فتُبنى بها الهياكل وتعمر المراكب والسفن التجارية شجرٌ تتفجّر في ظلهِ الينابيع العذبة ، وتنساب بين غرسه الجداول خرّارة .

هذا هو لبنان كما وصفه المؤرخون وهل يعرفه اليوم من زار ربوعه فتسلّق جباله ، وهبط اوديته ، فرأى قمماً جرداء بات معظمها منبت الاشواك ؟ . ايهِ لبنان اين ارزك الخالد ولم يبقَ منه سوى بعض شجرات في الشمال حفظها القدر فجاءت شاهدة بسالف عزك ؟ اين غاباتك مسرح الاسود وملجأ المضطهدين ومسكن النساك ؟ إن ما لم تعمله السنون وعوامل الطبيعة عملته يدُ الانسان الجانية ، فقطعت شجراتك واحدةً فواحدة لاحتياجات تافهة . قطعتها ولو درى بذلك الشاعر « رونسار » لصاح لهول المصاب كما جاء في قصيدته المشهورة التي مطلعها : « قاطع الاشجار سمعاً . . . »

إنّ للأشجار عند الشعراء روحاً وحياةً ، فعُصاراها دماء حرامٌ سفكها . كيف لا وهي لهم باعثُ الخيال ومهبط الوحي . . ذلك مذهب الشعراء ! غير ان العاقل من جمع بين ذلك الشعور والمنفعة المادّية فاستفاد بما جعله الله له من الخيرات ، واستخدمه ، ليس فقط لحاجاته اليوم ، بل لحاجاته في الغد ايضاً . .

اننا لا ننكر على ساكني البلاد حقوقهم في استثمار الغابات وقطع اشجارها ، انما ننكر عليهم طريقتهم ؛ فهم اذا قطفوا كسروا ، وان قطعوا لا يجددون. وعليه فلا عجب اذا قام لبنان وقد لما الم باحراجه ، وسعت الحكومة في تجديدها ؛ فللأحراج منافع صحية ومادية نكتفي بذكر بعضها.

الانهار والينابيع

إن الينابيع العذبة التي تتفجّر من الصخور في سفوح الجبال وعلى اكتاف الاودية ، والمياه التي تترقرق في الجداول والانهر من الجبل الى السهل ومن السهل الى البحر فتسقي في سيرها الاشجار والبقول والاعشاب ، والشلالات التي تسكب مياهها كاللُجين السائل ، كلُّ ذلك مورده الشمس مصدر الحياة. إن حرارة ذلك الكوكب تبخّر قسماً من مياه المعمور ، واهمها مياه البحار ، فتصعد في الجوّ ممتزجةً بالهواء الناشف فتصيّره رطباً . واذا كثر البخار كانت الغيوم يسوقها الهواء من جهةٍ الى جهة ، حتى اذا ما صادفت برودةً انحلّت فتساقطت في شحاب من الامطار.

ولو تبعنا تلك المياه المتساقطة لوجدنا انَّ قسماً منها يقع فوق الصخور والارض اليابسة فيكوّن بحيرات راكدة ، او ينحدر حتى مجاري الانهر فيتبعها لا مقرَّ له الّا البحر ، وقسماً آخر يقع فوق ارض نشّاشة فيخرقها ، ثم يتسرب في داخلها من طبقة الى طبقة حتى يلاقي طبقة دلغانية (argileuse) يركد على سطحها وربما يتفجر ينبوعاً عذباً . . . والآبار الارتوازية ما هي الّا مياه نزلت بين طبقتين دلغانيتين بشكل الطسّة فاذا ثُقّبت الطبقة الاولى نشبت المياه بقوة الضغط ، الى علوّ لا يتجاوز علوّ اطراف الطسّة . والآبار الارتوازية كثيرة في الجزائر ، ومنطقة باريس. امّا في بلادنا فنظنّ ان المياه المتدفقة من برك مدينة صور والتي يرجع عهدها الى الرومان ما هي الّا نوع منها.

والآبار الارتوازية غير آبار البترول التي ينشب السائل الشاعل منها احياناً الى علوّ يبلغ الثمانين متراً . سببُ ذلك هو ان البترول محصور في الارض فوق طبقةٍ دلغانية ، تعلوه غازات ضاغطة . فاذا فتح البئر فوق سطح البترول خرج الغاز وبقي البترول ، واذا جاء الفتح في الاسفل نشب البترول بقوة الغاز

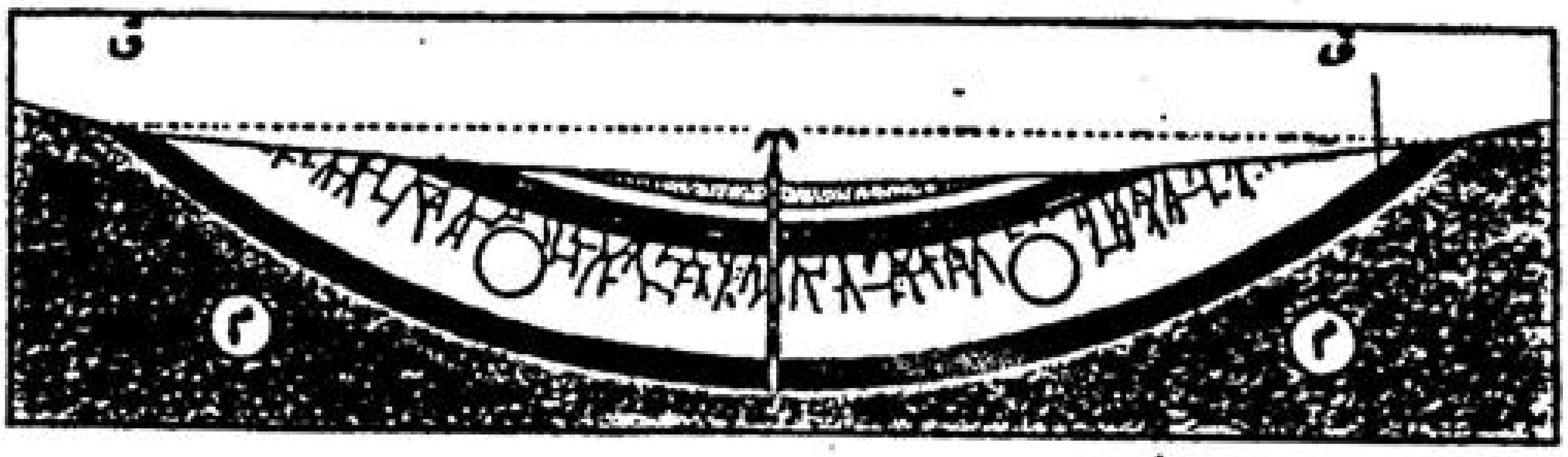

الرسم ١ : مقطع لبئر ارتوازي يرى فيه طبقات الارض والمياه المحصورة في الرمال م
بين طبقتين دامانيتين ترى الطبقة الاولى منها

الضاغطة فوفرت بذلك اموال طائلة لاستخراجه بطرق حيلية . كيف لا ومن ينابيع البترول في روسية ما يقذف بادئ بدء خمسمائة طن من البترول في الساعة .

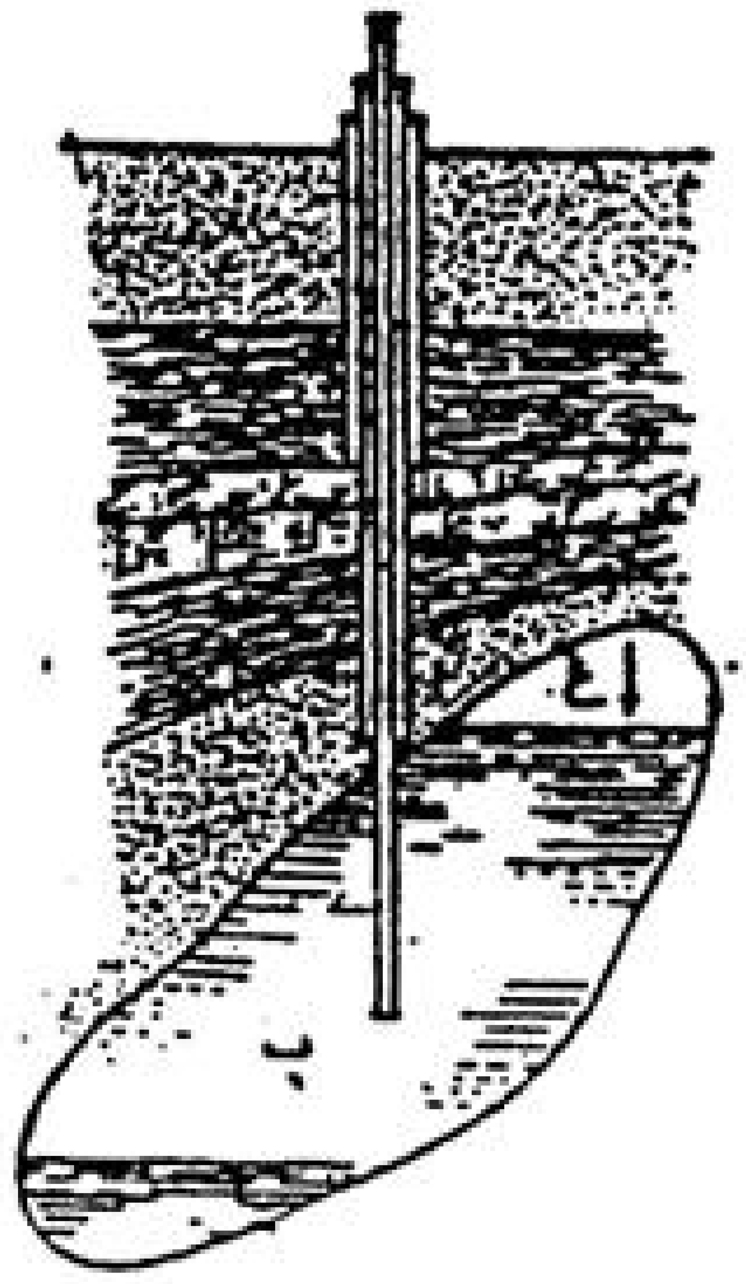

الرسم ٢ : شكل هندسي لبئر البترول ب : البترول غ : الغاز الضاغط

هذه مقابلة فقط بين الآبار الارتوازية وآبار البترول جرّتنا اليها سياق الكلام . والمقصود ان الينابيع تتغذى بما يتساقط من الامطار ، فلا يسيل على سطح الارض بل يتعدى القشرة الخارجية من التراب الى الداخل . وكما على سطح الارض هكذا في بطنها . فعوضاً من ان ترشح المياه ثم تركد ، فهي تسيل احياناً انهراً داخلية ، حتى تجد مصرفاً لها تخرج منه ينبوعاً غزيراً . ولنا مثل حي على ذلك في ينبوع مغارة جعيتا فوق نهر الكلب .

فمن دخل تلك المغارة الواسعة رأى نهراً جارفاً في بطن الارض تمكّن الاميركان من صعوده ، بدء الاحتلال ، الى مسافة اربعمائة متر . واصل مياه ذلك النهر نبع اللبن كما بيّنه التحليل الكيماوي .

فغزارة المياه متوقفة اولاً على كثرة الامطار ، فلا غروَ اذا فاضت الينابيع في سنة كسنة ١٩٢٩ جرت الامطار فيها سيلاً ، وثانياً على نوع القشرة الخارجية من الارض . فاذا كانت هذه صخرية او صلبة منحدرة لما علقت على سطحها المياه بل سالت ، حال سقوطها ، نحو المضيق او الوادي ، عائدة الى البحر ،

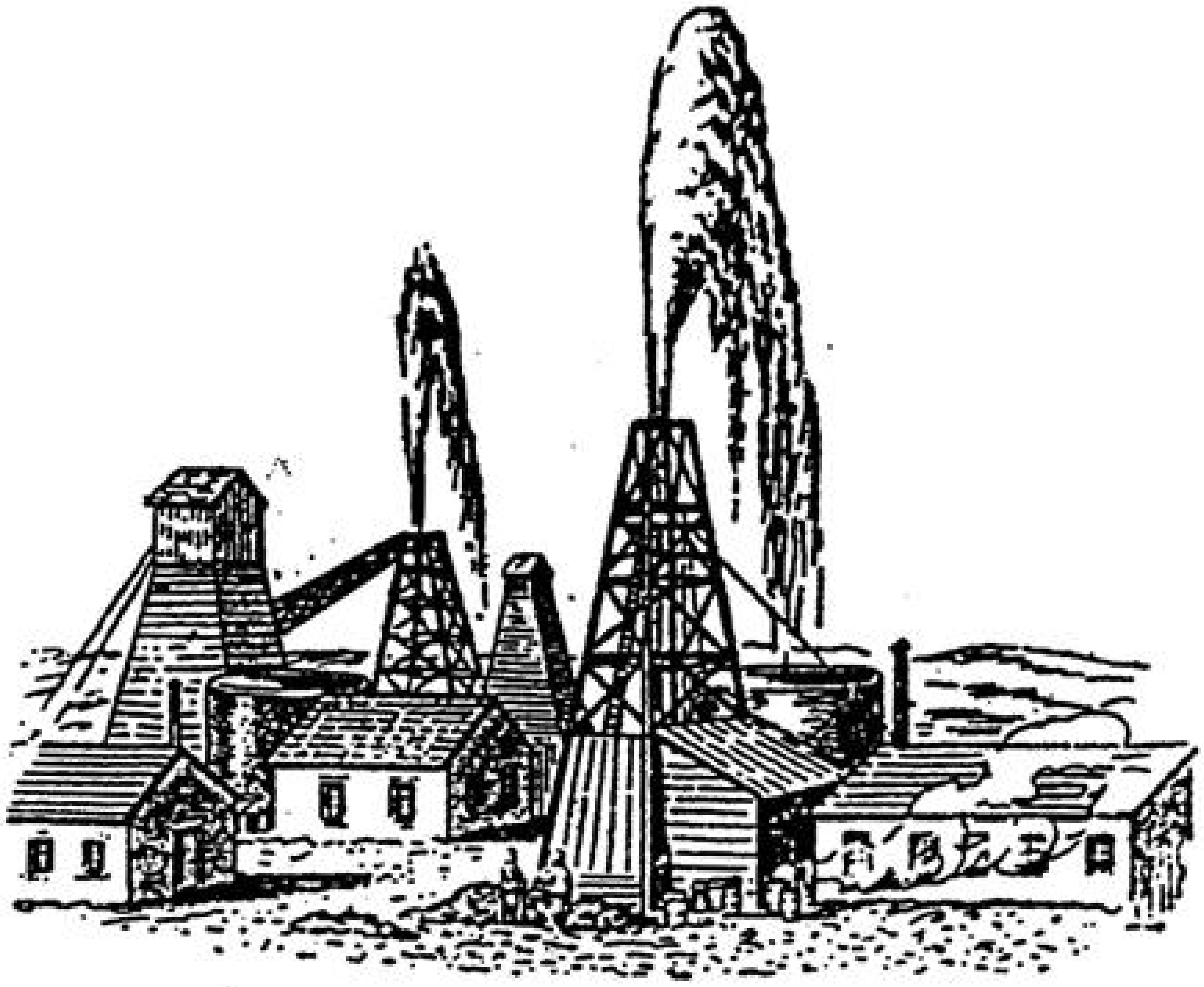

الرسم ٣ : منظر خارجي لينابيع البترول

فجفت الينابيع . ومن المعلوم ان المياه لا ترشح في الارض ، يابسةً كانت ام رطبةً ، الّا اذا مكثت على سطحها زمناً ؛ وهذا ما تسهله الاحراج المنتشرة في سفوح الجبال وقممها . فجذوع الاشجار ، وجذورها المتشعبة الممتدة احياناً فوق التراب ، تعترض المياه في سيرها نحو الوادي فتوقفها او تخفف من سرعتها فيتمكن التراب من شربها .

هذا اذا ضربنا صفحاً عن ان البلاد الخضراء تكثر فيها الامطار حيث ان الغيوم اذا لاقت جوًّا رطباً ، كما فوق الغابات ، لا تلبث ان تنحلّ بالمطر . وقد يعبّر العامة عن ذلك بقولهم : « الشجر يسحب الشتا من الغيم »

واذا تعدينا مسألة الينابيع ، وجدنا ان الاشجار باوراقها وغصونها وجذوعها وجذورها تخفف من قوة وقع المطر عند نزوله وتمنعه من جرف الرمال والاحجار كما يحدث ذلك في البلاد الجرداء .

وللغابات قوة هائلة في ايقاف تيّار الرمال الجارف ، طامر المدن والبلدان . فلولا اغراس الصنوبر غربي بيروت لغطّت رمال البحر نصف المدينة .

وان كان للأحراج منافع صحية فمنافعها المادية اكثر من ان تحصى . فهنالك

الرسم ٤ : اشجار الصنوبر توقف تيار الرمال

صناعات شتى اساسها الاشجار والاخشاب ، منها صناعة المواد الصمغية (résine) والمواد الشاعلة ، والكرتون والفحم . ولا نأتي على ذكر فن النجارة المعروف « بالموبيليا » وهو يستعمل من الخشب ما يصعب خروجه في بلادنا كالاكاجو وغيره فيأتينا من غابات اميركا .

والمواد الصمغية تُستخرج من شجر الصنوبر والشربين ، وهذا ينبت في ارضنا فما يمنعنا من استثماره . واستخراج الصمغ منه يكون على الطريقة الآتية : تُجرح الشجرة عمودياً او تقشر قليلاً في مواضع مختلفة ، ثم يعلّق تحت كلّ شقّ اناء يسيل فيه الصمغ فيجمعه مستثمرو الغابة حيناً بعد حين وقد شاهدت ذلك في غابات اللاند (Landes) غربي فرنسة ، لمّا مرّ بنا

القطار الكهربائي سائراً من باريس الى بوردو ، فرأيت الوفاً من الآنية معلّقة على جذوع واغصان الاشجار تستقي ما يسيل من الصموغ

امّا صناعة المواد الشاعلة فتابعة لصناعة الفحم نذكرها في حينها.

صناعة الورق والكرتون

يصنع الورق والكرتون من معجون الخشب يُضاف اليه بعضُ مواد كياوية وصمغية لتعطيه قوة وصلابة ، على ان الجيد من الورق يُصنع من عتيق الاقمشة يُجمع في الطرقات وعلى المزابل

ومعامل الورق والكرتون تُجعل على مقربة من الغاب ، كي يسهل قطع الاشجار ونقلها . وما احسن لو صادف موقعها نهراً او ساقية تستخرج منه القوة الحيلية مجاناً بواسطة دوّامات مائية

ولا يؤخذ من الشجرة في عمل الورق الّا الجذع والاغصان دون الاوراق والقضبان ، تقطع بطول متر واحد على شرط ان لا يتجاوز قطرها العشرين سنتيمتراً والّا وجب شقها . لذلك فلا يقطع غالباً من الشجرة الّا اغصانها ويبقى الجذع مجدداً فيها الحياة . ثم تقطف الاوراق وتقص العقد وتُنزع القشور ، امّا بواسطة الفأس وامّا بآلات تخفف من اليد العاملة . وفي صناعة الكرتون يُعرض الخشب لفعل البخار السخن ضمن افران مقفلة ، فتلين قشرته فيسهل نزعها ، وتعطيه حرارة البخار لوناً غامقاً فيجيء الكرتون ملوناً دون صباغ

وبعد ذلك تبرش تلك الزنود بالاحتكاك على دواليب من الحجر الرملي فتعطي دقيقاً . فالناعم من الدقيق هو ما جاء بالجيد من الورق او الكرتون ، والخشن يؤخذ فيطحن كالبُر بين حجرين الاول ساكن والثاني متحرك كما في الطواحين العادية . وعملية البَرش تستلزم ماء غزيراً يصب فوق الخشب لئلا يلتهب من حرارة الاحتكاك . ثم يجمع دقيق الخشب الرطب ويضاف اليه بعض مواد كياوية ، فيجيء معجوناً يمد صفحات بواسطة المكابس ، ثم ينشّف بواسطة البخار السخن فيصقل فيقطع فيباع .

(للبحث صلة)

قدم الانسان

بقلم حضرة القس عبد المسيح زهر

من الثابت الاكيد ان الانسان ظهر على وجه الارض آخرَ الخلائق الحيّة . ولكن متى يا ترى كان ظهوره ، وفي اي عصر برز الى عالم الوجود ؟ ان الجواب على هذا السؤال لم يفضِ اليه الى الآن كاشف ، ولم يُمط عنه الحجاب احد من العلماء ، بالرغم من الجد والجهد الذي بذلوه ؛ ولعله يبقى مكنوناً الى منتهى العالم . اذ ان العلم ما استطاع ، ولربما لن يستطيع ابداً ان يفكّ مشكلاً كهذا اعقد من ذنب الضب . فاذن هذه المعضلة ما زالت في ليل من الشك مدلهم ، لم يسطع عليها بعد اشعة الظهور . ومع ذلك احببنا تلخيص اقوال العلماء ، في هذا المقال ، لما ينجم للقارئ عنها من الفوائد .

ان العلماء ولاسيما المتجردون لدرس احوال الحياة ، يعتقدون ظهور الحياة اولاً في المياه ، ثم في البرّ ، وبعد ذلك في سماء الارض . غير ان اصحاب المذهب القائل بتوحيد اصل الاشياء (monisme) يزعمون ان ظهور الحياة حدث في اول الامر اتفاقاً في قلب المياه ، بصفة خلية لا هيئة ولا شكل لها . ثم ان ذلك الحيّ الاول اخذ يتكمّل شيئاً فشيئاً حتى استطاع ، بعد كرور الدهور الطويلة ، الانتقال من سلسلة النبات الى سلسلة الحيوان . ولكن هؤلاء الموحّدون لم يثبتوا قولهم من طريق البرهان ، ولا ايدوه بالادلة المقنعة ، بل اعرضوا عن العلم الاختباري الذي شهدت بصحته التجارب ، واعتمدوا على نتائج لا يتمثل فيها شبه الحق ، ولا تثبت على النظر ، اذ انه قبل اختبارات العلامة باستور كان يظن ان الحياة تتولد في بعض الاحوال بشروط معينة ،

كتولد جراثيم الامراض من تلقاء نفسها ، في الدم مثلاً او في البول او في غيرهما . الّا ان هذا الرجل ، فريد زمانه ، قد ابكم خصومه بتجاربه العديدة ، وبيّن ان « كل حي يولد من حي مثله »

فاذن المألوف والصرف العقل وحده يقول بان، انواع الحيوان المتنوعة الموجودة في وقتنا الحاضر ، البالغة مئات الملايين — اذ ان انواع الحشرات تزيد على ٣٠٠٠٠٠ — فضلاً عن الانواع التي عاشت في الاعصر الغابرة وهلكت ، ثم دُفنت تجاليدها في تراب الارض وتحجّرت بين سافات الصخور ، كلها توالدت وتكاثرت من تلك الخلية الاولى ؟ بل من يصدق ان تلك الخلية ولدت بطريقة النشوء النبات والحشرات والحيوانات العظام والماموث والفيل واصناف القردة حتى اعضاء جسمنا ؟

على ان سلسلة ذوات الاثداء الشاملة الانسان والقردة تمتدّ الى زمان عريق في القدم ، وقد ظهرت آثارها لاول مرّة في اوائل العصر الثالث بين سافات صخور طبقات الارض المتكوّنة من رسوب المواد ، وفوقها قامت ارض العصر الثالث . ونمت هذه السلسلة وتكاثرت ، وتشعبت ، وتعددت ، وانقرض بعض انواعها قبل ابتداء العصر الرابع ، ولكن بالرغم من كرور الدهور قد طال بقاء بعض هذه الانواع الى ايامنا ، وان كانت الآن آخذة في التلاشي والانقراض . اما الانواع التي ظهرت قبل الانسان ، وعاشت في السلسلة الاولى ، وما زالت تعيش معنا ، كالقردة على اختلاف انواعها ، ولاسيما الخالية من الاذناب ، القريبة من هيئتها وشكلها الى الآدميين ، مثل الشبنزي والاورانغ اوتانغ والغرلّى ، فان بعضها وُجد في العصر الثالث ، ولربما سبقها نوع او انواع اصغر تسلسلت هذه منها .

فاذن الراجح في الرأي ان ظهور الانسان كان في اوائل العصر الرابع ، لان العلماء بالرغم من المساعي التي بذلوها لم يستطيعوا اقامة الدليل على وجوده في العصر الثالث ، اذ ان آثار الصناعة البشرية في اوربا لم تظهر الّا في اواسط العصر الرابع . اما ما اكتُشف في البلاد الاخرى فلم تتفق الاراء على صحة

ماذا يقول علم طبقات الارض

ان العلماء الناظرين في طبقات الارض يذهبون الى وجود الانسان في العصر الرابع الممتدّ الى وقتنا الحاضر . على ان الارضين كانت اذ ذاك مختلفة كل الاختلاف عنها في الاعصر السابقة ، لتأثير العوامل الخارجية فيها ، اعني العوامل الجويّة . فضلاً عن ان سقوط الامطار الغزيرة أثّر في هبوط الحرارة ، وذلك لخلوّ الهواء عن الحامض الكربوني . فاذن سقوط تلك الامطار سبّب تساقط الثلوج ، فنشأ عنها جليد انتشر وعمّ في اول العصر الرابع ، فحمل حيوان المنطقة الشمالية الى الجلاء والرحيل الى المناطق المعتدلة . وكان ايضاً من نتائج تلك الامطار وجريان المياه جرفُ التقن الى السهول والاماكن المنخفضة ، وهكذا تكوّنت الاراضي الصالحة للحراثة والزراعة .

وفي آخر العصر الثالث هبّت جبال النار في اوڤرني (Auvergne) من سباتها الطويل ، كما يشهد سلسلة جبال پويس (Puys) . وعلى اثر الانفجارات زاد الحامض الكربوني فارتفعت الحرارة وذاب الجليد ، وصارت حالة الجو شبيهة بالحالة الحاضرة . وفي الوقت عينه انقرضت انواع كثيرة من ذوات الاثداء ، كالماموت ودباب المغاور والايائل العظام والمغاتريوم والدنورنيس ، وظهرت خليقة جديدة لتتسلط على الارض ، وهذه الخليقة هي الانسان . فاذن وجود الانسان كان غالباً في العصر الرابع ، ويدلّ عليه العظام البشرية التي اكتشفت في الاراضي الرابعة ، والادوات المصنوعة من ظرّان او حجارة مصقولة او من المعادن ، وهذا العصر يعرف بعصر النحاس والحديد وعنده يقف علم طبقات الارض ويبتدئ التاريخ . فالراجح انه قبل العصر الرابع ما كان للانسان وجود على وجه البسيطة[1] .

آثار الانسان

ان اهم الآثار الدالة على وجود الانسان الظرّان والعظام التي كان يصنع منها القلائد والنبال ، والاقراط والمثاقب ؛ وصور بعض الحيوان التي كان

١) عن كتاب «السماء» بتصرف كثير .

ينقشها على عظام الخيل والوعل والرنة ؛ وبقايا صيده واطعمته التي خلفها في المغاور والكهوف التي اوى اليها في اول امره ؛ واثار النيران في حجارة الصوان ؛ والتماثيل التي صورها بالمغرة على جدران تلك المغاور . وبعد عصر الحجر ، اتى عصر النحاس ، ثم عصر الحديد. وقد قسم العلماء عصر الحجر الى ثلاثة اقسام: عصر الحجر المشظّى ، وعصر الحجر المنحوت ، وعصر الحجر المصقول.

على ان العظام البشرية لا وجود لها في العصر الثالث ؛ واقدم ما وُجد منها يرجع الى العصر الرابع ، وهو لحي اسفل وُجد في مَوَر (Mauer) قرب هدلبرغ (Heidelberg) سنة ١٩٠٧ ، على عمق ٢٤ مترًا ؛ وجمجمة عُثر عليها في (Piltdown) من اعمال سوسكس (Sussex) في انكلترة . وقد فحص الاستاذ سيفر (Siffre) احد اساتذة مدرسة جراحة الاسنان لحي مَوَر فقال : «ان الفرق بين اسنان لحي مَوَر واسنان القرد الاقرب (الى الانسان) كالفرق بين ضرس آكل العشب وناب الجوارح .» غير ان صاحب هذا اللحي بعيد عن الانسانية واقرب الى البهائم من الانسان النايندرتالي [١] (Néandertal) ، فهو منسوب على ما يظهر الى الانسان الشلّي [٢]. اما الجمجمة فهي قريبة من احوال الاناسي. فيستدل انه كان في العصر الشلي العريق في القِدَم باوربة سلالتان من البشر مختلفتان. وقد وُجد في طبقات ارض (Piltdown) ، ما عدا الجمجمة ، فك اسفل وبعض الاسنان نسبها مرسلان بُول (Boule) الى الشبتزى ؛ فيستدل من ذلك على ان الانسان والشبتزى عاشا في وقت واحد . وظن آخرون غير ذلك ، وما زال الجدال قائمًا بين العلماء في هذا الشأن. والمعروف انه بعد الانسان الشلّي اتى النايندرتالي ، ولا يُعرف اكثر من هذا. حتى ان العلماء لم يتوصلوا الى معرفة استعمال الانسان الشلّي للنار ودفن الموتى. وبعد الانسان النايندرتالي اتى سلالتان اخريان ، وهما السلالة الغرملدية (Grimaldi) التي اتت الى اوربا من افريقية وكانت من الزنوج ، وسلالة اخرى تدعى (Cro-Magnon) وهي سلالة

١) نسبة الى قسم من وادي ديسّل في بروسية الرنانية.

٢) نسبة الى شِلّ (Chelles) ، دسكرة من اعمال مو على المارن حيث وجد آثار بشرية عريقة في القِدَم.

بيضاء جميلة الخلق تشبه سكان اوربة الحاليين. ولكن هاتين السلالتين لم تتفرعا من السلالة النايندرتالية التي انقرضت من عن آخرها، بل اتتا من بلاد اخرى. وقد نسب العلماء انقراضها الى تغلب سلالات ارقى منها عليها. وهم متفقون على ان السلالتين الاخيرتين من نوع الانسان العاقل.

على ان سلالة الكرومانيون قد سكنت ايضاً الكهوف، واستعملت الظرّان، وعاجَ الماموت، وقرون الرَّنة، وعظام حيوانات اخرى، وتقدّمت في الصناعة، وتركت صوراً كثيرة وتماثيل على جدران المغاور وسقوفها، ونقوشاً في الحجارة وقرون الرنّة، وتماثيل من الصلصال او النَّضار للبيزون[1] وغيره من الحيوان. وكانت هذه السلالة ارقى عقلياً وادبياً من كثير من المتوحشين في عصرنا. وقد اكتشفوا في المدة الاخيرة في (Broken Hill) بروذزية جمجمة قريبة الشبه الى جماجم السلالة النايندرتالية، وجدوها بين عظام حيوانات تلك الارض؛ وبانَ انها احدث من عظام السلالة التي عاشت في اوربة، وانها مختلفة عن جماجم زنوج افريقية، فاستنتج مرسلان بُول ان السلالة النايندرتالية بقيت في افريقية الجنوبية بعد انقراض اختها من اوربة.

عمر الانسان

لقد ذهب بعضهم الى قِدَم الانسان وايّدوا رايهم بما يوجد من الظرّان الشبيهة بالظرّان المشظّاة. غير ان زعمهم هذا لم يثبت عند المحنة والتمحيص؛ اذ انه قد عُرف بالخبرة ان حجارة الصوان تتشظّى من تلقاء نفسها، بتأثير حرارة الشمس وبرودة الليل. وقد تحقق المسيو ارسلان (Arcelin) ذلك في قفار ليبية الحارّة وسهول برغونية المعتدلة؛ والدكتور وتّسين (Wetzsein)، والمركيز دي ناديلاك (Nadaillac) حوالي دمشق. قال ابسيوس: «متى جلس المرء صباحاً صامتاً في مكان قفر، او مساء بعد غياب الشمس، سمع حوله صلّة ناتجة

١) نوع من البقر قلّ وجوده وهو نوعان: الاوركس (*Bos bonasus*) ما زال في ليتوانية والقوقاس عائشاً بالاجام، والبيزون (*Bos americanus*) باقٍ ايضاً في كندة والولايات المتحدة تحميه الحكومة.

من تشظي حجارة الصوان المدلَّصة .» ثم ان المسيو دلڤو (Delvaux) رأى مثل ذلك في محل كائن على مقربة من رنيه (Renaix) في بلجيكة .» واليك شهادته : « لقد تعجبت من سماعي حساً ثم صلة تتزايد ، رايت بعدها شظايا الصوان تتطاير حولي من كل جهة ؛ ولما كنت وحدي حرت في امري واطبقت الدُفيتر الذي كان في يدي ؛ وعلى الاثر لاحظت ان اشعة الشمس ، عند مجاوزتها القمة المقابلة ، تسامتُ الحجارة البارزة على حافات الحفرة .» ومها سخنت تشظت وقذفت القطع الى مسافة مترين واكثر . فاقمت اتامل هذا الحادث مدة نحو عشرين دقيقة .»

فاذن حجارة الصوان المتشظية لا تبرهن دائماً على ان الايدي البشرية هي التي شظتها ؛ ولا يصح الاعتماد عليها لتعيين عمر الانسان الذي ما زال من وراء العلم .

ان البعض ، استناداً على آراء فريق من علماء الالمان ، وما توصل اليه من الاكتشافات الحديثة ، بالغوا جداً في تعيين السنين التي مضت فجعلها جماعة مائة الف سنة ، وطائفة مئتي الف بل اربعمائة الف سنة ، ولكن اقوالهم خالية من الادلة .

غير ان الاب مورو (L'abbé Th. Moreux) بعد ان افاض في درس هذه المسئلة ، وتعمق في البحث عنها ، وعرض على قرائه اراء العلماء ، وقف ولم يقطع فيها ؛ بل اقتصر على هذه النتائج فقال : « انه بالنظر الى ظهور الانسان على الارض تتفق الحوادث كلها في حالة العلم الحاضرة على الدلالة :

اولًا : ان لا اثر حتى الآن للانسان وصناعته في العصر الثالث

ثانياً : ان العظام البشرية الاولية الحقيقية التي عُثر عليها في بلادنا ولاسيما في جنوبي فرنسة ، يرتقي عهدها الى الطور الجليدي الاخير والطور الذي سبقه . فلا ريب اذن ان الانسان صبر على امتداد مدة الجليد الاخيرة التي هي على الارجح اقصر مدّاته .

ثالثاً : يصعب تحديد تاريخ ظهور الانسان وعمر الارض الحاوية آثاره . اما اعداد السنين التي ذكرها العلماء الكذبة فليست سوى مزاعم لا يثبتها برهان

قيَم ، ولا تؤيدها حجة قاطعة ، اذ ان كل شيء يدل على ان الاطوار الجليدية والاطوار السابقة لها لا تتجاوز بعض الوف السنين . اذن ان محاولة تحديد عدد معيّن ضرب من مجاوزة حدود العلم في الوقت الحاضر .»[1]

قال پول بروكا (Broca) : « ان الانسان الثلاثي ما زال في عتبة العلم .»

فاذن اقوال العلماء تدل على ان ظهور الانسان كان في العصر الرابع ، وما من برهان يثبت وجوده قبل هذا العصر . وقد ذكر الاب مورو في كلامه عن عصر الرنة ان السنين التي مضت منذ تكوّن احدث اراضي العصر الثالث العليا (*Pliocène*) الى العصر الرابع الحالي تنحصر في بضع عشرات الوف من السنين[2] .

٤ من المحقق ان سكان اوربة الشليين قد هاجروا من بلاد اخرى ، اي من آسية مهد البشرية . ولكن متى يا ترى وقعت هذه الهجرة ؟ وكم من الزمان بقوا في بلادهم قبل هجرتهم ، وكم من الزمان مرّ منذ وجودهم الى هجرتهم ؟ كل هذه الامور اسرار يقف امامها العلم صامتاً لا يحير جواباً ، ولا يدري ماذا يقول .

الّا ان العالم بيير ترميه (Pierre Termier) العضو في مجمع العلوم ذهب الى ان عمر النوع البشري ٣٥ الف سنة ، او ٤٠ ، او ٥٠ ، او ربما اكثر[3] .

ثم ان ابوين يسوعيين افرنسيين (PP. Teilhard de Chardin et Licent) اكتشفا ، سنة ١٩٢٣ في بلاد الصين بالاوردُس (Ordos) حيث ملتوى عظيم لنهر الهوانغ هو ، آثارًا يتصل عهدها الى عصر الظران القديم ؛ ولكنهما لم يتوفّقا الى وجود شيء من العظام البشرية . فلعدم وجود اثار دالة على امتداد عصر الجليد صعب على العلماء التفريق بين العصر الصيني الرابع والعصر الاوربي الرابع .

* * *

١) *D'où venons-nous ? p. 106*

٢) *Qui sommes-nous ? p. 82*

٣) *La joie de connaître, p. 298*

آراء العلماء في شأن الانسان وظهوره

ان اراء ثلاثة يتمسك بها العلماء بالنظر الى الانسان وظهوره:

الرأي الاول وهو رأي اصحاب مذهب النشوء يزعم ان الانسان متسلسل من الخلائق الاولية القديمة، وانه الاكمل فيها. اما تلك الخلائق فقد انقرضت ودثرت قبل ظهور الانسان العاقل، ولجهلها التقدم لم تستطع تعريف الانسان الذي تسلسل منها. ثم جاء بعدها غيرها ولكن الانسان تعقبها وابادها. على ان الانسان وُلد من اكمل تلك الخلائق، وحصل على نفس شبيهة بنفس الولد قادرة بالتدريج على فهم الكلي والدائم وغير المتناهي واشتهائها، بل قادرة بعد النموّ على الشعور بانها حرَّة مسؤولة عن افعالها. ويذهب الى ان اولئك البشر كانت اجسامهم شبيهة باجسامنا، ولكن انفسهم كانت شبيهة بانفس الاولاد، محتاجة الى اماطة الحجاب عنها، والى معرفة نفسها، والى النموّ، قادرة بالتدريج على الكمال؛ وقد ترقَّوا وتقدَّموا وتقسموا وتشعبوا الى سُلالات فمنها من توجه نحو النور فحصل فيهم شبه بالله، ومنها من لزمتهم الامراض والفاقة لاجل سوء نصيبهم من الارض والهواء، فتوقفوا عن التقدم، وبقوا مقيمين بالظلام. فهذا الرأي يرفضه التقليد المسيحي لانه يمدّد هذا النشوء الى ما قبل ظهور الانسان العاقل، وينسب النفس الى التقدم التدريجي، ويجعل ابن آدم غير حر في اصله، ولا مسؤول عن افعاله.

الرأي الثاني يقول بان الانسان الاول الذي ظهر على الارض مثل الانسان الحاضر ذو نفس نيرة صافية حرَّة مسؤولة عن افعالها، مخلوقة على صورة الله كمثاله. ولكن يذهب الى ان وجود هذا الانسان سبقه وجود خلائق اخرى شبيهة به الا انها اقل منه كمالاً؛ فكأنهم انصاف بشر، لهم بعض الادراك، غير انهم ما كانوا احراراً مسؤولين عن افعالهم. ومنهم اصحاب عصر الظران الذين لم يتسلسلوا من آدم ولا هم اخوتنا، بل لا يصح ان ندعوهم بشراً، ووجودهم في الكون سر غامض. وحسب زعم اصحاب هذا الراي يرجع ظهور الانسان الى ٢٠ الف سنة فقط. ولكن يُعترض على قولهم بانه اذا كان اصحاب

عصر الظران ليسوا بشراً ، فكيف توصلوا الى قطع الحجارة وتشظيتها ، واستعمال النار ودفن الموتى ؟

الرأي الثالث يقول بان البشر كلهم منسولون من اب وام ادخلا بمعصيتها الموت الى العالم ، وان اصحاب عصر الظران متسلسلون من هذين الابوين كالسلالات المتمدنة في عهدنا ، وان القول بوجود اناس قبل آدم غير ثابت ، وان قِدَم الانسان يرجع الى ٣٥ او ٥٠ الف سنة او اكثر[1] ، وان اصل البشر واحد ثم تشعبوا شعوباً كثيرة ، وان الشليين والنياندرتاليين هم من هذه الشعوب لم يسبق وجودهم وجودَ الانسان العاقل . ولكنهم انحطّوا الى افق المتوحّشين الحاليين ، فمن اجل تسفّلهم ظهر فيهم بعض المشابهة للقردة ، مع انهم بشر مثلنا ، قد عرفوا النار ودفنوا موتاهم ، وانتشروا في المعمور ، ثم تباعدوا من وجه اخوانهم الذين لم يتسفلوا ، ولجأوا الى البلاد الباردة والبحار الغربية والجزائر غير الثابتة فساخت بهم وبادوا.

* * *

فالرأي الاول لا يسلّم به المسيحي المتمسك بدينه المعتقد تنزيل الكتاب ؛ اما الرأيان الآخران فسيان في الصحة اذ ليس برهان فلسفي يرجّح احدهما على الآخر ؛ والاقرب الى الحق الرأي الثالث . النتيجة ان طول المدة التي انقضت منذ ظهور الانسان وسقطتهُ الى الفداء سرّ غامض لا يدرك ، كما ان الباقي من الزمان الى انقضاء العالم سر اغمض واغمض.

(١ Pierre Termier : *La joie de connaitre*, p. 298

حسن البيان

في زخرف القول تزيينٌ لباطلهِ ، والحقُّ قد يعتريهِ سوء تعبيرِ !

تقول : « هذا مُجاجُ النحل» تمدحه ، وان ذممتَ تقلْ : « قيء الزنابيرِ ! »

مدحٌ وذمٌّ وما غيّرتَ من صفةٍ حسنُ البيان يُري الظلماء كالنورِ !

سورية ولبنان

قِدَم اسميهما

بقلم الاب لامنس اليسوعي

في ٢٠ شباط الفائت ، القينا في ردهة كلية القديس يوسف ، محاضرة عددنا فيها افضال لبنان على سورية من حيث المياه والري ، والمناخ ، وعنصر السكان. ثم لخصنا تاريخ اسم « لبنان » وبينا انه يظهر مرات عديدة في الرقوم الحثية ، والبابلية ، والاشورية ، والمصرية ، سواء كانت تلك الرقوم محفورة في الآجر او منقوشة على الصخور وكلها مستندات رسمية صادرة عن اقدم حكومات العالم المتمدن قلنا عنها وقتئذٍ انها شهادة عريقة في القدم بل وثيقة ترتقي الى الفي سنة قبل المسيح. واشرنا بعد ذلك الى اتساع لبنان الجغرافي في تلك العصور . ثم ختمنا قائلين : لم يُخترع « لبنان » اعتباطاً ، وهو ليس بدعي يتطلب نسباً وتاريخاً قديماً . . .

فتلقت الصحافة تلك المحاضرة ، وخاضت في الموضوع كما شاءت. وكان ان بعض الصحافيين ، من غير ان ينكروا قِدَم لبنان ، رأوا من اللازم الملاحظة ان سورية تعادله قِدَماً . . . وهي ملاحظة من نوع ما يُسمى « بدفع الباب المفتوح » . . . لاننا لم نتكلم قط عن قِدَم لبنان الجغرافي او الجيولوجي — وهو موضوع صبياني — بل عن قِدَم لبنان اللغوي اي قدم اسم «لبنان».

واسم «لبنان» كان معروفاً وجارياً في جميع بلدان الشرق الادنى ، قبل ان يُخلق اسم « سورية » بعشرة قرون على اقل تعديل. ومما قد يجهله من انتقدنا من الصحافيين ان اسم « لبنان » اسم وطني. اما « سورية » فاسم اجنبي من صادرات بلاد اليونان ، وهم اشهر من اصدر الاعلام الجغرافية. وكذلك نحن مدينون لهم

باسم «انتي - لبنان» الذي نعتوا به سلسلة لبنان الشرقية .

***

بقي الكلام في اصل كلمة «سورية» ، فنقول انها ليست سوى نقل اللفظة اليونانية Συρία بالحروف العربية ، واللفظة اليونانية نفسها اختصار للكلمة Ἀσσυρία . اما هذا الاسم الاخير فيذكرنا بالعصور التي كانت فيها سورية جزءا من مملكة الاشوريين . وهكذا فان تجارة اليونان الاقدمين لما وصلوا الى شواطئ بلادنا ورأوها خاضعة لسلطة ملوك اشور ، سمّوها «اسورِيَة» ثم اختصروا فقالوا «سورية» .

فنرى اذاً ان هذا الاسم غير عريق في القدم . فان التوراة لا تذكره قطعاً بل هي تسمي سورية بلاد آرام . واننا نفتش عبثاً عن اسم سورية في ما تقدم احتلال الاسكندر الكبير من الاسفار المقدسة . وكذلك هوميروس وهزيودس (القرن العاشر والتاسع ق.م.) فانهما يجهلان هذا الاسم ، مع ان هوميروس ذكر الفينيقيين واثنى عليهم . اما اول مؤلف ذكر اسم سورية فهو الشاعر اشيل (القرن الخامس ق.م.) على ان هذا الاسم لم يكن مضمونه مميزاً عن مضمون اسم «اسورية» فكان كلاهما يدلان على المملكة الاشورية ثم على بلادنا التي كانت جزءا منها . وبعد الاسكندر الكبير اخذ اسم «سورية» المختصر بالتفوق على الاول فاستعمله الكتاب اللاتين وانتشر .

ولكن لم يتقرر مضمونه تاماً الّا منذ السنة ٦٤ ق.م . وهي السنة التي احتلّ فيها الرومانيون بلادنا فالحقوها بامبراطوريتهم ، فغدا اسم « سورية » يدل على المناطق الواقعة ضمن حدود البحر المتوسط ، وجبل طورس ، ونهر الفرات ، ما عدا بلاد فلسطين وفينيقية اي سلسلتي لبنان . وظلّ هذا الاسم مستعملاً حتى اليوم .

فينتج مما تقدّم ان اسم «سورية» اصغر عمراً من اسم « لبنان » بالفي سنة على الاقل .

حول الادب الجاهلي

كتاب جديد في الموضوع (*)

بقلم فؤاد افرام البستاني
استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

لا اعرف كتاباً عصرياً في الادب العربي احدث الضجّة التي احدثها كتاب الدكتور طه حسين(1) . ولا اعرف موضوعاً عربياً لعهدنا اسال من الحبر ، وسوّد من الورق ، مـا اساله وما سوّده موضوع الشعر الجاهلي . ولم يكن السبب في كل هذا فضيلة خاصّة بالموضوع ، او ميزة جوهرية في الكتاب . انما تضافرت على ذلك اسباب متعدّدة منها داخلية في المؤلّف ، وان تكن خارجة عن موضوعه ؛ ومنها خارجية عن الكتاب وعن الموضوع . امّا الاولى فمثالها تلك الآراء التي طرحها الدكتور يريد ان ينال بها من الادب القديم ورواته ، فنال من الدين وكتبه . وامّا الثانية فهي ان الكتاب ثمرة من ثمار الجامعـة المصرية ، وان صاحبه استاذ من اساتذتها — بل هو «ابنها البكر» على نحو ما جاء في خطبة لمديرها — وان الجامعة المصرية مؤسسة اميريّة تعيش بمال الامّـة وتلتحق بوزارة المعارف ، فاستاذها اذاً موظّف من موظّفي الحكومة عليه ما على سائر الموظّفين من الواجبات . واذا عرفنـا ان من هذه الواجبات احترام

(*) النقد التحليلي لكتاب « في الادب الجاهلي » بقلم محمد احمد الغمراوي ، وله مقدمة بقلم الامير شكيب ارسلان — القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٩٢٩ — ص ٦٠ + ٣٢٥ ، وسط — الثمن ١٥ غرشاً .

1) الدكتور طه حسين : في الشعر الجاهلي — القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٢٦ — ص ١٨٣ صغير — ثم « في الادب الجاهلي » — مطبعة الاعتماد ١٩٢٧ — ص ٣٧٦ وسط

في بناء تاريخ العرب الجاهليين.»[1] ؛ الى محمد لطفي جمعه[2] يجتهد في السير على اسلوب علمي محض حتى اذا رأى الفرصة سانحة افسح المجال لعاطفته وحماسته ؛ الى محمد الخضر حسين التونسي[3] يحلل الكتاب المنقود فقرةً فقرة وفصلاً فصلاً فيزيّفها ويتوسّع في ذكر سبق المستشرق مرغوليوث الى آراء الدكتور في الشكّ والانكار ؛ الى غيرهم من كتاب المقالات المتعدّدة ممن لا يسعنا سرد اسمائهم.

اما موقف الدكتور طه حسين تجاه هذه الحملة فكان ، على ما ظهر ، اقرب الى السكينة منه الى الحركة والضجة . وكأنه لم يكترث الا لنتيجة ما نُسب اليه من الكُفر ، فصرّح على صفحات الجرائد بانه مسلم مؤمن بالله وبانبيائه ؛ وبانه لم يقصد الطعن في دين من الاديان . على ان هذا التصريح لم يكفِ . فرأت الحكومة ، على اثر هياج المجلس النيابي ، ان تمنع انتشار الكتاب ، فضبطت جميع نسخه.

ثم أُجيز للمؤلف ان يستفيد ممّا كان في كتابه لا يمسّ الدين ولا يحطّ من كرامة الانبياء. فحذف منهُ ذلك الفصل وتوسّع في غيره ، ونشره سنة ١٩٢٧ ، قائلاً في مقدّمته : «هذا كتاب السنة الماضية حُذف منه فصل واثبت مكانه فصل وأُضيفت اليه فصول. . . .»اما عنوانه فاستبدل به عنواناً جديداً ، وبعد ان كان « في الشعر الجاهلي » اصبح « في الادب الجاهلي »

وهذا الكتاب هو الذي يحلّله الاستاذ محمد احمد الغمراوي وينتقده في كتاب جديد أُهدي الينا مؤخّرًا . فنرى ان الانتقاد على الدكتور طه حسين لم يختصّ بذاك الفصل المحذوف ، بل هو يتناول كل نظريّته وتطبيقاتها المتعدّدة ، بل هو يتناول منهج البحث نفسه ويمحّص علمية تلك الطريقة في الشكّ والتردّد التي نسبها المؤلف الى ديكارت.

وهو ما انتبه له الاستاذ الغمراوي ، فبذل الجهد في الاطّلاع على مظانّ

١) ك . م . ص ٣١ — ٣٢

٢) محمد لطفي جمعه : الشهاب الراصد : بحث تحليلي انتقادي وردّ علمي تاريخي على كتاب « في الشعر الجاهلي » — القاهرة ، ١٩٢٦ .

٣) محمد الخضر حسين التونسي : نقض كتاب في الشعر الجاهلي — القاهرة ، ١٣٤٥ .

الكتاب جميعها ، وعرض آراء المؤلف كلها من صريحة وضمنيّة على محكّ النقد ، فاظهار ما فيها من الجدّة او القِدَم ، ومن الصواب او الخطأ ، ومن الاخلاص في البحث والامانة للعلم او المغالطة وتعمّد القاء بذور الشكّ من غير مسوّغ . فاتى كتابه حافلاً بصفات كثيرة امتاز بها عن كلّ ما تقدّمه من الابحاث في الموضوع . ولعلّ مرور الزمن ، وسكون تلك الحملة التي وصفناها ، مع تنشئة المؤلف العلمية الدقيقة — وهو خرّيج جامعة لندن — واخذه باساليب العلوم الوضعية والاختبارية — وهو من اساتذة الكيمياء — سهّلت عليه الخوض في هذا الموضوع الدقيق فخاضه مطمئناً ، محكماً عقله برزانة وبرودة ، مقارناً بين نتائج العلم الصحيح ونتائج الحدس والتخمين .

على ان ما يلفت نظر المطالع لأول وهلة ، فيستوقف خاطره ، فيستهوي لبّه ، هو ذاك الاسلوب الجامع الى دقة العالم بلاغة الاديب . وهو اسلوب يقدر المرء قيمته بدرس الفاظه ، فتعابيره ، فانتقالاته واقسامه ، فمسحته الاجمالية :

الفاظ الكتاب مختارة فصيحة في ذاتها ، صريحة في التعبير عن المعاني المقصودة ، فلا هي بالفضفاضة يضيع المعنى بين طيّاتها ، ولا بالضيقة تقصر عن اداء المطلوب . واذا دفع الكاتب الى استعمال كلمة جديدة ، او شاء التوسّع بمعنى كلمة قديمة ، حدّدها اولاً بوضوح ، ثم استعملها في المحيط الذي مكّنه منه التحديد . ونحن انما اشرنا قبل كل شيء الى هذه الصفة في الالفاظ ، واعجبنا بهذه الموافقة بينها وبين المعاني ، لأمر يزيده اهميّة في زمننا ما رأيناه ونراه من اساليب مَن يعبدون الالفاظ فيحتقرون المعاني مأخوذين برنّة الجمل الفارغة ، او من يتفانون في سبيل المعاني فيظهرون عدم اكتراثهم للالفاظ ؛ وقد لا يكون ذلك الا عن عجز وقصور .

وصفة الالفاظ هذه تتصف بها التعابير ايضاً فتظهر واضحة كلّ بمفردها ، وواضحة في تناسقها ومجاراتها جميعاً الى تأليف الفقرة من الفصل . وكذلك الفقرات كلها متناسقة في تأليف الفصول . وهذه في تأليف الكتاب . وعلى الجملة فان الكتاب وحدةٌ تامّة متراصّة الاجزاء ، متراصفة المقاطع ، واضحة التقاسيم ، فضلاً عن سهولة في الانتقالات ، وراحة في الجُمل ، ونظرات اجمالية

في اول كل بحث تربطه بالبحث السابق.

اما مسحة الاسلوب الاجمالية فالضبط في القياسات ، والإتباع في البراهين ، والرصانة في اعطاء الاحكام ، مع اجتهاد يكاد يكون متواصلاً في البعد عن التطرّف ، وتجنُّب التحامل العاطفي . وقد تمّ تحديد تلك الشخصية في الاسلوب ، اذا اضفنا الى ما تقدّم بلاغةً في التعبير ترفع الانشاء احياناً الى المستوى الخطابي العالي ، مع لذعة خاصّة قد لا تخلو من التهكم . على ان المؤلف يضبط استعمال هذا السلاح ، فلا يرمي به الّا وقد نثل كنانة براهينه الرزينة . فهو يستعمل التهكُّم للاجهاز لا للمفاجأة .

***

بقي الكلام في محتويات الكتاب . ونحن اذا تدبّرناها بنظرة تحليلية امكننا ردّها الى مصدرين : الاول ما اشار اليه النقّاد السابقون من المظنّات والاخطاء ، التي نشروها مشوبةً ببعض الاجحاف حيناً ، وبكثير من التحامل احياناً ؛ فنظر فيها الاستاذ الغمراوي وجمع اطرافها ، وضبطَ متشعباتها ، واتمها ، وعرضها بطريقة اوفر علمية واقلّ هوساً ، فتوسّع في كلّ نتائجها ، واستغلّها على جميع وجوهها . والثاني ما انفرد بهِ المؤلف من الاستدراكات وهو على قسمين ايضاً : الاول ناتج من انه لم ينتقد كتاب « في الشعر الجاهلي » بل «في الادب الجاهلي» وهذا اوفر مادّة ، وادعى من ثمّ الى الانتقاد . والثاني مبتكر خاصّ بالمؤلف .

امّا نتائج المصدر الاول فنها مسألة الشكّ ، ومذهب ديكارت وطريقة الدكتور طه حسين في تطبيقه ، التي كثيراً ما اشير اليها وكثيراً ما لم يؤبه لشرحها ، قبل ان كتب الاستاذ الغمراوي تلك الصفحات الناضجة في الشكّ ومبرّراته ، ومنهج ديكارت ، ومعرّة الشك المطلق في التاريخ ، وموقف الدكتور من هذا كله (ص ١٠٠ — ١٣٢) وتطرّق الى ذكر الفرض الجديد او الحدس ، فالاثبات وطريقة الدكتور في ذلك ايضاً (ص ١٣٣ — ١٤٦) .

وممّا لفت نظارنا في هذا القسم صفحة في « التديّن الصحيح والبحث » ساقها الرد

على قول الدكتور ان نسيان القومية والدين شرط اساسي من شروط البحث العلمي . وهي هذه بنصها (ص ١٢٢-١٢٣) :

«انه ذهب الى ان نسيان القومية والدين شرط اساسي من شروط البحث العلمي . ان كان اراد بذلك أن على الباحث ألا يخفي بعض الحق او يتراخى في استيفاء الدليل العلمي محاباةً لقوميته او ارضاء لعاطفته الدينية فقد اصاب . اما اذا كان اراد ان الانسان لا يستطيع ان يكون ذا عاطفة قومية او دينية قوية من غير ان يحابي او يداجي في العلم فقد اخطأ ولم يصب . ان الانسان يستطيع ان يراعي الدقة العلمية التامة في البحث وهو متذكر دينه كل التذكر ، ومعتقد صحته كل الاعتقاد ، غير مجوّز على قرآنه خطأ او على توراته . بل ان التدين الصحيح يزيد الباحث المخلص ان امكن حرصاً على الحق واستمساكاً به اذا وصل اليه . ان الباحث المتدين بين محببين في الحق : دينه وعلمه ، ومبغّضين في الباطل : دينه وعلمه كذلك . فهو يحب الحق مرتين مرة لدينه ومرة لعلمه . ويبغض الباطل مرتين كذلك . ولا خوف عليه مطلقاً ان يُخفي بعض الحق او يدلس في البحث محاباة لدينه ، اذ ليس الحقّ يخاف على دينه ولكن الباطل . هو يعلم ان دينه حق ، يعلم ذلك علم مستيقن . ويعلم ان العلم قائم على قاعدة استحالة التنافي بين اجزاء الحقّ ، يعلم ذلك علم مستيقن ايضاً . فهو لا يخشى ابدًا ان يكشف البحث الصحيح عن حقيقة تنافي دينه ولذلك يمضي في ابحاثه آمناً مطمئناً متبعاً أقوم الطرق في البحث والتفكير ، لا لان هذا هو الطريق الوحيد للوصول الى نتائج صحيحة فحسب ، ولكن لان هذا في اعتقاده هو ايضاً الطريق الوحيد الذي لا يؤدي الى تخالف بين العلم الذي يبحث فيه والدين الذي يؤمن به . فالتدين الصحيح والتفكير العلمي الصحيح ممكن اجتماعهما اذن ، وكثيرًا ما اجتمعا ، كما ان العاطفة العلمية القوية والعاطفة الدينية القوية لا تتعارضان بل تتضافران على خدمة العلم وتبعثان على الاخلاص في البحث .»

ومن نتائج المصدر الاول ايضاً سبق مرغوليوث للدكتور في نظرية وضع الشعر الجاهلي الذي اشار اليه اكثر من انتقدوا الكتاب كمحمد الخضر حسين التونسي[1] ومجلة الزهراء التي لخصت مقال المستشرق المذكور[2] . ومنها مسألة تلك النقوش الحميرية التي تكلّم عنها الدكتور طه حسين في كتابه الاول كلامَه عن برهان يثبت الفرق بين اللغتين العدنانية والقحطانية . فطلب منه عزة دروزة «ان يأتيه بامثلة من تلك النصوص والنقوش التي تثبت المغايرة الواسعة بين العدنانية

١) محمد الخضر حسين التونسي : الكتاب المذكور ، ص ١٧ ، ٤٧ ، ٥٢ ...
٢) الزهراء (٤ : ٦١٨ - ٦٢٠)

والقحطانية في اللفظ والقواعد والتصريف ... وان يبين اقرب تاريخ امتدت اليه هذه المغايرة.»[1] وكأن الدكتور انتبه للقسم الاول من هذا الطلب فاورد ثلاثة امثلة من تلك النصوص في كتابه الثاني (ص ٨٨—٩١) . ولكنه تغافل عن القسم الثاني فلم يبيّن «اقرب تاريخ امتدت اليه هذه المغايرة» وانّى له ان يبيّن ذلك ! فاستغلّ الاستاذ الغمراوي هذا الإغفال وتوسّع فيه وبنى عليه فصوله في الصفحات (١٦١—١٨٩) ثم اردفها بالشعر الجاهلي واللهجات ، ثم بالعربية ولغة قريش (١٨٩— ٢١٢) . ومن ذلك مسألة نقل الدكتور الكثير من معلوماته وآرائه عن ابن سلّام. وكان قد ذكرها ، مصطفى صادق الرافعي[2] وذكر غيره شيئاً متفرّقاً في الأمر . فجمع المؤلف كل ذلك وتوسّع فيه ، شأنه في سائر ابحاثه ، واخرج منه ذاك الفصل الشائق الذي سمّاه «دَين القدماء على صاحب الكتاب» (ص ٢٦٧ —٢٧٦) . ومن ذلك مآخذ عديدة في تطبيق النظرية على الشعراء. ممّا اشار اليه الكثيرون من النقدة ، واشرنا الى بعضه في «الروائع» (في الاجزاء: الثاني ، والثالث ، والسابع)

واما ما انتجه المصدر الثاني فالقسم الاول من النقد (ص ١— ١٠٠) بما فيه من الملاحظات الدقيقة في المحذوف من الكتاب واغفال اسباب حذفه (١—٤) وذكر اقوال الدكتور في معاصريه (٨—١٧) وبسط آرائه في الاصلاح والتجديد (...٣٩)

واما المبتكر فهو تلك الآراء الطريفة ، والنظرات الدقيقة التي بثها المؤلف في فصوله عامّة وخصّ بها بعض موضوعات ، كالادب ومنشأ اسمه وتاريخه ومقاييسه ، واللاتينية واليونانية وعلاقتهما بالادبين الغربي والعربي ، والتقليد وتأثيره ، وحرّية الادب ، والنقد الادبي والتاريخي . ولعلّ ادق ما في تلك الابحاث — وكلّها دقيقة نفيسة — تحديد المؤلف للذوق الشخصي والذوق المكتسب وتأثيرهما في الادب ، وايضاحه للكثير من القضايا المشكلة في الادب العربي العصري ، كقضية التقليد ، وقضية القديم والجديد . اما البحث في الذوق فيراه

١) في الزهراء (٣ : ٢٤٧)

٢) مصطفى صادق الرافعي : الكتاب المذكور ، ص ١٩٥

المطالع بنصه في آخر هذا الدرس. واما قوله في التقليد فهذا هو(ص ٤٤— ٤٥):

«ولا بد من وقفة هنا عند التقليد تقليد الادب الافرنجي وخطره على الادب العربي. ليس مطلق التقليد هو الخطر وانما الخطر هو الاسراف في التقليد. وليس مطلقَ التقليد نعيب على صاحب الكتاب وانما نعيب عليه الجمود فيه. نعيب عليه انه يحاول ان يلبس ادبنا العربي ثوباً افرنجياً وان يصبغه صبغة فرنسية من غير مراعاة ما بين اللغتين وادبهما من الفوارق. ان التقليد اذا جاز في العلم من غير قيد لا ينبغي ان يؤخذ منه في الادب الا بمقدار لان ادب الامة من روحها فالتقليد فيه اخضاع لروح الامة واضعاف لشخصيتها، وعلى قدر ذلك التقليد يكون مقدار الضعف ويكون مدى الخضوع. اما العلم فانه ميدان العقل ومتاعه، وهو لا وطن ولا قومية له، كما ان العقل لا قومية له ولا وطن. فقوانين التفكير واحدة وسبل العقل واحدة في العالمين. ثم انت لا تشعر اثناء تلقي العلم عن اجنبي انك تتلقى شيئاً خاصاً بجنس من البشر دون جنس، او بقوم دون قوم، ولكن تتلقى شيئاً مشتركاً او ينبغي ان يكون مشتركاً بين الناس اجمعين اشتراك العقل بينهم. وليس الادب كذلك. فبينا انت في العلم لا تجد علماً انجليزياً ولا علماً المانياً ولا علماً فرنسياً ولكن علماً واحداً لا انجليزية ولا المانية ولا فرنسية فيه، اذا بك تجد الادب متعدداً بتعدد الامم، لكل امة ادبها كما لكل امة لغتها. وتجد ادب كل امة مطبوعاً بطابعها طبعاً لا خفاء فيه، او هكذا هو اذا استقلت الامة بادبها، ونسجت لنفسها بُرداً من روحها وتاريخها وتقاليدها وعاداتها ودينها بدلاً من ان تلتف بشقٍّ من برد غيرها لا تجد فيه دفئاً ولا قوة ولا جمالاً.»

وهذا قوله الدقيق في القديم والجديد (ص٢٠ — ٢١):

«ولصاحب الكتاب نداء يلجأ اليه كلما أراد تزيين رأيه وتشويه رأي مخالفيه للناس هو نداء التجديد. فهو المجدد ومخالفه غير مجدد، وهو نصير الجديد ومخالفه نصير القديم. وكلمة التجديد هنا، ككلمتي القديم والحديث، من الكلمات المبهمة التي يحتاج معناها الى تحديد. ثم هي هنا من الكلمات المنقولة عن مدلول مادي الى مدلول معنوي. والخطر الذي يصحب مثل هذا النقل هو أن ينتقل مع الكلمة جوّها الذي كان يصحبها في استعمالها الاول فيصير معها في استعمالها الثاني، فان لامثال تلك الكلمات أجواء تنتقل معها في تداولها، كما للكواكب أجواء تنتقل معها في سبحها وتنقلها. فاذا علقت الكلمة ذات الجو بمدلول جديد علق به ما كان يحيط بها في استعمالها الاول من استحسان أو استقباح، وسرى ذلك الى النفوس خفية فتستحسن أو تستقبح من غير أن تدري لذلك سبباً.

«فالناس يستحسنون في الماديات الجديد ويفضلونه على القديم. فالملبس الجديد مثلاً والمسكن الجديد خير عندهم من مثله من القديم. وهم يأخذون في ذلك بتجاريبهم فهم فيه على صواب. لكن اذا نَقَل ناقلٌ القدَم والجدة الى المعنويات فبدأ يكلم الناس عن الادب القديم والادب الجديد، والمدنية القديمة والمدنية الجديدة، والحياة القديمة والحياة الجديدة، كان الناس منه على خطر وبدأوا يستقبحون ويستحسنون من غير أن يكونوا غالباً على صواب في الاستقباح

او الاستحسان: يستحسنون المدنية الجديدة ولعلها شر من المدنية القديمة ، ويستقبحون الادب القديم ولعله خير من الادب الجديد . وهم لا يفعلون ذلك لانهم يرون مدنية خيرًا من مدنية وأدبًا شرًا من أدب ، ولكن لأن الجدة فيما ألفوا من المحسوسات مقرونة عندهم بالتفضيل فيُجرون المعنويات مجرى الماديات عفوًا من غير قصد ، ويفاضلون بين الجديد والقديم في الادب كما يفاضلون بين الجديد والقديم في اللباس ، ويقعون طبعًا في نفس الخطأ الذي يقع فيه طالب المنطق حين يستعمل في قياس واحد لفظًا واحدًا مشتركًا بين معنيين مختلفين . والناس معذورون اذا فعلوا هذا ، اذ ليس منتظرًا من جمهورهم ان يكونوا مناطقة مدققين أو ان يحذروا سوء استغلال قانون الربط او القران النفسي (Association Law) . انما الذي تقع عليه تبعة ذلك الخطأ الخفي البالغ هو ذلك الذى يستغلُّ امثال تلك الالفاظ من غير حق ، وينقلها عما ينطبق جوها عليه الى ما لا ينطبق جوها عليه . واذا كان هذا الاستغلال منتظرًا ، أو على الاقل لا يمكن منعه ، في الدعايات الحزبية ، حيث تراعى المصلحة ولا تراعى الحقيقة ؛ فان الابحاث العلمية والادبية يجب ان تبرأ منه اذ يجب أن يكون للحقيقة فيها المكان الاول . »

وللمؤلف كثير من الابحاث منسوجة على هذا المنوال من الدقة وبُعد النظر ، وتقرير الحقائق المضطربة . وهذا ، في عرفي ، افضل ما في الكتاب بالنسبة الى الثقافة العامة ، وتنشئة الطلاب على اساليب الدراسة الثانوية الحقة . وهذا ما يجب ان يدفع ارباب المدارس الى اقتناء المؤلف ووضعه بين ايدي طلبة الصفوف المنتهية يجدون بين صفحاته — بصرف النظر عن موضوع الخلاف — آساساً راسخة لاسلوب البحث الادبي ، ومنهاجاً صحيحاً للتفكير العلمي .

وبعد فالكتاب مثال فائق لامكان الجمع بين ماضينا الادبي وحاضرنا ، واحكام الصلة بين اساليب الثقافة عندنا سابقاً وحالياً ، تلك الصلة التي تمكننا من الانتفاع بكنوز ادبنا التالد ، اذا ما طبقنا عليها قواعد نقدنا الطريف . بل هو مظهر جلي يبيّن فضل المحافظة على كل «قديم» ثمين مع الاخذ بكل «جديد» نافع .

فلو لم يكن للدكتور طه حسين من فضل سوى انه كان السبب في ان يتحفنا الاستاذ الغمراوي بهذا التأليف النفيس ، لكفى بذلك مبررًا لصدور كتاب «في الادب الجاهلي»!

الذوقان الشخصي والمكتسب

وتأثيرهما في الأدب وتاريخه

بقلم الاستاذ محمد احمد الغمراوي

عمل الذوق في تاريخ الادب

على ان هذا[1] ليس معناه ان الذوق لا عمل له قط في تاريخ الادب من حيث هو تاريخ. فان له فيه عملاً اختص تاريخ الادب به أغفله صاحب الكتاب[2] ونريد الآن أن نتناوله بتبيين.

ذلك ان لكل كاتب او شاعر روحاً خاصاً يتمشى في اكثر كتاباته من نثر او شعر بحيث لو اكثر مكثر من قراءة كاتب او شاعر وتذوق أدبه تربى لديه ذوق خاص بذلك الكاتب أو الشاعر يدركه به كلما رآه. فاذا اكثر المشتغل بالادب من قراءة المتنبي وأبي العلاء مثلاً، او حافظ وشوقي، او ماكولي ورسكن، استطاع أن يدرك بما عرف أنه لهم ما لم يعرف بمجرد قراءته او سماعه كأنما صار لكل منهم عنده مذاق خاص، أو كأنما انتقل اليه جزء من الذوق الذي كان لكل منهم وامتازت هذه الاجزاء عنده فصار كل منها يدل على الاصل الذي انشق عنه وانتمى اليه.

ولا شك ان ذوقاً كهذا كان مما أعان الرواة والشعراء والنقاد الاقدمين على ادراك الدخيل في شعر شاعر بعينه أو كتابة كاتب بعينه، ولعله هو الذي دل الاصمعي على البيت:

---

١) يشير الى فصل سابق في « مكانة الذوق في تاريخ الادب »

٢) اي الدكتور طه حسين

انبضوا معجس القسي وأبرقنا كما ترعد الفحول الفحولا

من بين أبيات قصيدة المهلهل[1]:

بتُ ليلي بالانعمين طويلا أرقب النجم ساهرًا أن يزولا
كيف اهدا ولا يزال قتيل من بني وائل يُنسى قتيلا

فاختاره من بينها وقال انه موضوع[2]. وذوق كهذا هو من غير شك الذي جعل بشارًا ينكر البيت:

وانكرتني وما كان الذي نكرتْ من الحوادث الا الشيب والصلعا

حين عرض عليه منسوباً الى الاعشى فقال: انه لا يشبه كلام الاعشى. فهذا عمل للذوق في تاريخ الادب لا يستهان بقيمته اذا احسن استعماله

هذا الذوق المكتسب غير الذوق الشخصي

لكن علينا أن نحذر هنا زلة كالتي زلها صاحب الكتاب حين استعمل كلمة الاديب بمعنيين مختلفين في مقام واحد فلا ندع كلمة الذوق في عبارتنا الماضية تمرّ مطلقة من غير تقييد فانها اذا اطلقت دلت على الذوق الشخصي الناشىء عن شخصية الفرد نفسه، والذي يتجلى عند كل فرد فيما يلذ وما يكره وما يفضل، والذي عنه يصدر فيما يقرأ وما يكتب فتكتسب كتاباته ذلك الروح الخاص الذي يلازم كتابة كل أديب له ذات أدبية مستقلة. ولكن الذوق بهذا المعنى غير الذوق المكتسب أو قل غير الملكة المكتسبة من اكثار قراءة كاتب بعينه أو شاعر بعينه والتي تدل مكتسبها على ذلك الشاعر أو الكاتب ان قابله في كتاب.

التفريق بين الذوق المكتسب والذوق الشخصي او الذاتي

ولعلنا نقرب للقارىء أمر التفرقة بين الذوقين اذا قلنا ان المراد بالذوق الشخصي للمؤرخ أو الناقد هو ما يقابل الذوق الشخصي في المؤرخ له أو المنقود.

١) عقد : الثالث ، حرب البسوس
٢) الكامل : ثان ص ١٨٨
٣) ابن سلام

ففي مثل بشار والاعشى كان لبشار ذوق شخصي أو طبيعي يتجلى في شعر بشار وكان للاعشى ذوق يقابله يتجلى في شعر الاعشى . لكن بشاراً اكتسب مما حفظ ودرس للاعشى خبرة بشعر الاعشى أو قل جزءاً من ذوق الاعشى أمكنه أن يدرك به ان بيتاً مخصوصاً نسب الى الاعشى لا يشبه كلام الاعشى. فهذان الذوقان ممتازان في بشار أحدهما يلازمه فيما يقول من شعر والثاني قلما يستعمله الا عند الكلام على الاعشى خصوصاً عند تمييز شعره من شعر غيره.

ولسنا نجهل أن ذوق بشار الخاص قد تأثر بما أحب أو كره مما قرئ عليه للاعشى ولغيره . لكن ما استفاده من ذلك قد فقد شخصيته وتحول الى جزء من ذوق بشار كما يفقد الغذاء شخصيته ويتحول الى جزء من الحيوان أو النبات الذي يطعمه ، في حين أن ذوقه المكتسب من مطالعة شعر الاعشى ظل عنده مستقلاً مكنوناً يشعر به بشار حين يستعين به على نقد شعر أهو للاعشى أم ليس له ، كما فعل في المثل الذي ذكرناه عن ابن سلام.

هذا فرق. وهناك فرق آخر بين الذوقين يحسن أن نذكره زيادة في الايضاح هو ان الذوق الذاتي لشخص ما واحد لا يتعدد وان جاز أن يتطور كما يتطور الكائن الحي ، في حين أن الذوق المكتسب يمكن ان يتعدد ، اذ يستطيع الاديب أن يدرس اكثر من كاتب أو شاعر ويكثر من قراءة كل كاتب أو شاعر يدرسه فيفيد من كل منهم ذوقاً يعرفه به

وفرق بين الذاتي والمكتسب اهم من هذا هو أن الذوق المكتسب من شاعر أو كاتب ما يستطيع أن يكتسبه أكثر من أديب واحد اذا أكثر كل منهم قراءة ذلك الكاتب أو الشاعر. فهذا تعدد في الذوق المكتسب ولكن عكس التعدد الاول ، ففي الاول كان المكتسب واحداً وتعدد المكتسب منهم وهنا توحد المكتسَب منه وتعدد المكتسبون.

هذا النوع الاخير من التعدد أهم كثيراً في تاريخ الادب وأنفع من النوع الاول لان فيه ضماناً حسناً لصحة الحكم المبني على هذا الذوق المكتسب فان التحقيق الادبي يقتضي أن يكون هناك طريق يعرف به جودة الذوق المكتسب من كاتب أو شاعر ما عند ناقد ما ، ويعرف به صحة ما يصدره ذلك الذوق

حكم . والتحقيق يجد مثل هـذا الضمان فيما يكون هناك بين أهل الذوق المكتسب الواحد من الاختلاف أو الاتفاق في حكمهم بذوقهم على صحة نسبة قول ما الى الكاتب او الشاعر الذي اكتسبوا منه ذاك الذوق.

فذلك الذوق المكتسب له إذن عمله وقيمته في النقد الادبي التاريخي. اما الذوق الشخصي فان موقف المؤرخ الادبي منه كموقف العالم يجب ان يتحلل منه ما استطاع.

موقف صاحب الكتاب من الذوقين

لكن صاحب الكتاب لم يُعنَ بالتفرقة بين هذين الذوقين وعكس الامر فحكّم الذوق الشخصي الى حدّ كبير في التاريخ الادبي واغفل الذوق المكتسب اغفالًا . صحيح انه أشار فيما بعد (ص ٤٧) الى استخلاص ما في شعر الشاعر المدروس «من خصائص لغوية أو نحوية أو بيانية» وهـذا طبعاً طريق مهم لامتحان صحـة نسبة قول الى أديب معروف ولكنه طريق آخر غير طريق الذوق المكتسب: هذا يتعرف روح الشاعر التي تذاق ، وذاك يتعرف الخصائص التي ترى . هذا سريع لا يكاد يحتاج من الزمن الا الى ما يسع مجرد القراءة أو السماع ، وذلك بطيء يحتـاج الى تعمل والى زمن يتسع لان يعرض القول فيه على تلـك الخصائص واحدة بعد أخرى . وبشار حين أنكر بيت الاعشى انكره بذوقه ، ولعله لو كان سئل لماذا لمـا استطاع أن يجيب ولو أراد أن يعرض ذلك البيت على ما كان يعرفه من خصائص كلام الاعشى لاحتـاج الى زمن وتفكير ، ثم لعله لم يكن يظفر بعدهما بشيء يمكن الاعتداد به ، لان خصائص الشاعر اللغوية أو النحوية أو البيانية لا تظهر في كل بيت من أبياته.

فصاحب الكتاب قد أهمل الذوق المكتسب ومكانته في التاريخ الادبي اهمـالًا واستبدل به الذوق الشخصي وجعله أساساً لشيء سماه المقياس الادبي لتاريخ الادب.

حريصا

بقلم يوسف غصوب

لا تزال الشمس وراء صنين ، ولا تزال الطبيعة في رقـدة الفجر . هدوء وسكينة الا بعض اصوات تدوي بغتةً ، ترسلها الديوك متجاوبة ، متداعية في الصباح . واذا أصاخ الساري سمع دبيب الامواج في فُرضة «جونية» ، وأحسّ وقع خطو المُكارين الغادين ، وجَرس جلاجل دوابّهم .

نحن عُصبة من الشبّان في سفح جبل «حريصا» ، نتغلغل في الطريق الصاعد الى تمثال العـذراء ، بين الصنوبر الغضّ وأريج الصعتر الفوّاح ، طريق مُنعرج بين الاشجار والصخور ذي طيّات وليّات لا يمرّ فيه اثنان معاً ، وان لم يعتمد الصاعد الاغصان زلّت به القدم على ريش الصنوبر المتراكم .

كنّا نرتفع في هذه العَقَبة ، وفي يد بعضنا السُبحة يهمس صلوات تقطّعها زفرات التعب . وكان النور يرفع ستار الليل رويداً رويداً ، فنلتفت من حين الى حين لنشهد ما تركنا وراءنا من بدائع الطبيعة عنـد نهوضها من سُباتها : فكان البحر يتسع ويتموّج بالألوان الشاحبة ؛ وكانت البيوت تبرُز من مخبآتها بيضاء معمّمة بالقرميد الاحمر ، بين الجنائن الخضر والطرقات الغبر . ثم اخذت الطير في تشابيب تغاريدها مضطربة خائفة . وأمامنا الجبل منتصب عالياً اسود تحت ردائه الصنوبريّ ، وفي أعلى قمّته سهام من النور تنفذ لامعة كأنها أقمشة دقيقة ملوّنة .

ونحن نتوقّل في الجبـــل ، نسقط تارةً ونعلق طورًا في اغصان العَوسج ؛ وأفكارنا متجهة الى العذراء الباسطة يديها فوق قمة حريصا ، تبارك لبنـان وتتوّج مناظره الرائعة ؛ والصبح ينشر مُلاءته اللؤلؤية في فضاء واسع ، وآفاق متباعدة.

وما زلنا نرتقي حتى بلغنا القمة. فغمرتنا الشمس ببهائها ، فلم نأبه لها ، بل طرنا سراعاً حتى صرنا عند قدمي العذراء ، فوقفنـا عندئذٍ خاشعين واجمين تتنازعنا عوامل التُقى ومشاهد الطبيعة الساحرة.

أنّى نمد اللحظ نرَ جمالًا ورونقاً: صنين تحت ردائه الابيض الناصع يُشرف علينا من علاه ، والروابي تتوالى متدانيـة من سفحه كالدرج العظيم ؛ والبحر منبسط تحت انوار الضحى كالمرآة المكسرة تبرق وتلمع ؛ وفي الافق بيروت الحمراء جاثمة على الشاطئ بين زُرقـة البحر وخُضرة الصنوبر ؛ وتحت مَهوى أقدامنا جونية متروية في جُونها نكاد على علوّنا عنها نمد يدنا فنتناولها.

وهناك قمم عديدة تحف برابية حريصـا على معظمها اديرة وكنائس تضج قُببها بأصوات الاجراس المتهادية فوق الاودية والقرى.

ثوى كلٌ منا عند العذراء ، ورفع قلبه الى السماء ، ومجّد الخالق ، وأرسل لتأملاته العنان. فكأنّ الارض قد اضمحلّت ، وكأن العالم المحسوس قد تلاشى ، فلم يبق من مجـال الا للارواح فوق تلك الاعالي ؛ وكأن العذراء قد سكبت من طُهرها في صدورنا ، فكنّا نحسّ بخفّة وسكينة علوية وراحة نفسانية يخفى معها كل ألم وعذاب...

***

ولما آن وقت النزول بُغتنا كمن افاق من حلم جميل.

مجلة المجلات

يوبيل الآباء البولسيين – صغار الموارنة عند البابا –
معجم الروم الارثوذكس – الكلمات غير القاموسية –
ماذا في حضرموت ؟ – زيادة مواسم القز

يوبيل الاباء البولسيين

صدرت مجلة « المسرة » الغراء عددها عن شهر ايار بكلمة على يوبيل اخواننا الآباء البولسيين لخمس وعشرين سنة مضت منذ تأسيس جمعيتهم ، ونشرت من ثم رسالة جميلة وردت من الكرسي الروماني عن لسان الكردينال سنثيرو كاتم اسرار المجمع الشرقي الى حضرة الاب رئيس الجمعية الجزيل الاحترام ، جاء فيها :

« ان الاب الاقدس قد ارتاح مزيد الارتياح الى ما عرض له عن الخمس والعشرين سنة التي قضاها المرسلون البولسيون في الخدمة وعمل الرسالة وان قداسته يهنئ المرسلين بالعمل العظيم الذي قاموا به لمجد الله وخير النفوس وبالرياضات الروحية والرسالات الغزيرة الثمر التي باشروها في تلك الغضون واخيراً بالخير العظيم الذي حققوه بواسطة مطبعتهم . . . »

واننا نفرح لفرح اخواننا البولسيين الاعزاء في يوبيلهم الفضي ونسأل الله ان يزيدهم بركات وينمي مشاريعهم ، فيعيدوا يوبيلهم الذهبي متأبطين حزمات الحصاد بالمسرة مرشدين الخراف الضالة الى حظيرة المسيح الواحدة .

صغار الموارنة عند البابا لاون الثالث عشر

في ١٣ اكتوبر ١٨٩٣ ، رست في برنديزي باخرة نمساوية عليها من جملة ركابها اثنا عشر تلميذاً موارنة ورئيسهم الخوري جبرايل مبارك الريفوني . ركبوا القطار الى رومية ونزلوا دير الرهبان الحلبيين ريثما ينجز اعداد مدرستهم الجديدة .

ووصف احدهم (وهو حضرة الخوري بولس قرألي في المجلة السورية ، مارس ، ص ١٧٥) دخولهم رومة ، وزيارتهم الفاتيكان ، فقال :

« وارتأى رؤساؤنا ان يلبسونا الطربوش التركي الاحمر لنمتاز به عن بقية

المدارس الاكليريكية في رومة ... ولم نكن جميعنا في زيّ واحد بل كان كل منا يلبس الثوب الاكليريكي حسب هواه او بالاحرى حسب ذوق والدته فكان منظرنا غريباً وزاده غرابةً ذلك الطربوش الاحمر وشرابته السوداء...

ورغب الحبر الاعظم في رؤيتنا وحدد لنا جلسة خاصة في ٣ نوفمبر.

ولما لم تكن البرانيط والزي المدرسي قد تم صنعها ، ذهبنا الى الفاتيكان بزينا الغريب . وشعرنا ان جميع سكانه حتى تماثيله وصوره يحملقون فينا مدهوشين . وزاد استغرابهم سماعهم للغتنا ومشاهدتهم لحركاتنا الصبيانية . اما نحن فقد فتحنا عيوننا الصغيرة كبيرةً لنمتع الطرف بكل ما نصادفه . فاعجبنا بفخامة القصر وملابس حراسه الجميلة وقاماتهم الطويلة وقد تمنطقوا بالدروع المصفحة والخوذ اللامعة ذات الشعور المتدلاة وحملوا الحراب الطويلة. ولكننا لم نتهيبهم لانهم كانوا يبسمون من منظرنا...ولا همّ لنا سوى اشباع الطرف من الغرائب التي نشاهدها . واذا بنا ندخل قاعة كبيرة مفروشة بافخر الرياش وفي صدرها عرش ذهبي كبير اختفى فيه شيخ نحيل برز رأسه الدقيق من طيات ثيابه البيضاء الواسعة . ولم يكن فيه علامة للحياة سوى عينين حادتين براقتين شاخصتين الينا وشفتين كبيرتين رقيقتين تشفان عن ابتسامة جدّ حنون يشاهد أحفاد أحفاده لاول مرة . فقيل لنا هذا لاون الثالث عشر !

فوقفنا مبهوتين واذا بذلك الشيخ يومئ الينا بالاقتراب منه . فتقدمنا اليه واخذنا نجثو واحداً واحداً نقبل قدمه ثم يده النحيلة وقد برزت عظام أصابعه مكسوة بجلدة رقيقة انتفخت فيها العروق الزرقاء. وكان يقابل كلامنا بابتسامة خاصة ويسألنا عن اسمائنا. فكان المطران الياس يجيبه عنا بكلام لا نفهمه. ولما جاء دور ساسين الحصري ، وكان اصغرنا سناً ، سأله بالفرنسوية : ما هي بلدك يا بني ؟ فحملق فيه ساسين وصاح في وجهه بجدة قائلاً: غُبالة ! كأنه يقول باريس او برلين . فانتفض الشيخ لهذا الصياح غير المنتظر . ثم لم يلبث ان تمالك نفسه وضحك مردداً: غبالة ، غبالة(Gobalé. Gobalé) وهكذا تشرفت هذه القرية المتزوية في فتوح كسروان بأن مرت على شفتي هذا الحبر العظيم الذي تهتز

لصوته الضعيف الممالك والعروش وتطأطئ الملايين من البشر رؤوسها تحت يديه المرتعشتين.»

مجمع الروم الارثوذكس

جاء في المعارف (شباط ١٩٢٩ ص ٥٣) :

«اوقف المجمع الانطاكي اعماله اربعين يوماً حداداً على فقيد الملة المطوب الذكر البطريرك غوريغوريوس وقد نشرت الجرائد نتفاً من مقرراته غير ان اكثرها مغلوط كما علمنا من ثقة في المجمع والحقيقة ان قراراته التي تمت للان هي . . . :

١ — قد قرر المجمع الابتداء بالحساب المصحح في اول تشرين اول سنة ١٩٢٩ حيث يحسب اول تشرين اول شرقي ١٤ منه

٢ — تقرر فتح مدرسة اكليريكية في دير البلمند وتعين لها لجنة من السادة المطارنة وقانون خاص

٣ — تعين سبعة وعاظ للابرشيات يكونون تحت طلب وتصرف المطارنة ولا يحق لهم ان يفتشوا المحاكم الروحية كما نشرت بعض الرصيفات

٤ — انتخب المجمع اسقفين الاشمندريت فوتيوس خوري والارشمندريت حنانيا كساب غير ان الاخير استعفى

٥ — اعد قانون خاص لانتخاب المجالس الملية في كل الابرشيات بنوع انه في عام ١٩٣٠ يكون في كل ابرشية مجلس ملي تحت رئاسة المطران وبقية الجمعيات تسقط بسقوط المجلس الملي وتجدد انتخابها بتجديده

٦ — نظر في قانون الاحوال الشخصية واعده ليعرض على الحكومتين المنتدبة والجمهورية

٧ — نسق المحاكم الروحية البدائية والاستئنافية على نسق محترم

٨ — تألف مجلس بطريركي من اسقفين فخريين ومطرانين من اصحاب الابرشيات بالتناوب حيث يكون مطرانان كل ثلاثة اشهر في البطريركية بالتناوب.»

الكلمات غير القاموسية

استفتى الشيخ عبد القادر المغربي اعضاء المجمع العلمي العربي الدمشقي في امر الكلمات العربية التي لم تدخل القاموس ، فردّوا عليه بمقالات نشرها مجلة المجمع في اعداد السنة ١٩٢٨ وفي عددي كانون الثاني وشباط من هذه السنة . واليك خلاصة المناقشة :

سأل الاستاذ المغربي هل يجوز او يجب ادخال القاموس العربي الرسمي الذي يتعهده المجمع العلمي بحمايته ما لم تذكره المعاجم واعني بذلك:

١ً الكلمات العربية القحة التي وردت في كلام فصحاء العرب المحتج باقوالهم مثل فعل «تبدّى» بمعنى ظهر.

— الجواب إجمالًا : نعم .

٢ً الكلمات العربيــة التي وردت في كلام فصحاء العرب الاسلاميين غير المحتج بكلامهم مثل: اقص الخبر ، بمعنى قصه.

— الجواب نعم مع تحفظ بعضهم من الاقلية

٣ً الكلمات العربية المادة غير المعروفة من العرب او المعروفة في معانٍ اخر مثل: هيأة المحكمة ، وتشكيل المحاكم ، وميزانية.

— جواب البعض نعم ؛ وغيرهم: يجب لقبولها في القاموس ان تجاري اللغة في اصول الاشتقاق والتخريج والتركيب ؛ والحكم في ذلك للمجمع.

٤ً الكلمات العربية المادة التي ولّدها المتأخرون مثل : خابر ، وتفرج ، واحتار ، وتنزه ؟

— دار الخلاف عليها. ولكن الاكثرية مخالفة لها على ما يظهر:

٥ً الكلمات الاعجمية ومنها الثقيلة على اللســان العربي مثل اوتوموبيل وبرصونالية ، ومنها الخفيفة مثل بالون وفلم ومناورة ؟

— ان حزب المعارضين لها اقوى من حزب المتسامحين بها. على ما يُرى.

٦ً الاساليب الاعجمية التي تسربت الى العربية بالترجمة مثل: ذرّ الرماد في العيون ، عاش ستة عشر ربيعاً ، وضع المسألة على بساط البحث.

— الجواب : قد تحظى برضى اعضاء المجمع الا الاب انستاس ، والشيخين

الغلاييني ومحمد الخضر حسين ، على ما يظهر.

٧ الكلمات العامية مثل بدى وجيب وتحركش.

— الجواب: كلا ، ما لم تردّ الى اللغة الفصحى.

روينا خلاصة المقال بغاية التحفظ لان بعض اعضاء المجمع استنحوا من الاقتراح فرصة للتوسع والاسهاب ، فاظهروا تضلعهم من علم اللغة وشغفهم بها ، ولم تأتِ اجوبتهم كلها بنتيجة حاسمة واضحة فمابتهم على ذلك مجلة المجمع (وجه ٦٠٩) واننا نعجب بهذه الحركة المباركة ونشكر لاعضاء المجمع غيرتهم على تجديد اللغة من غير ان ينزعوا عنها سحنتها الاصلية . ومما لفت نظرنا من اقوال علمائنا ما قاله السيد احمد امين: (وجه ٣٦)

« ان تنويع الكلمات وتصنيفها ليس فيه كبير فائدة... ان ما يجب ان يعني به كل العناية المسائل الاتية:

١ً هل المجمع له سلطة وحرية في وضع كلمات غير قاموسية او لا.

٢ً ما هي القواعد التي يتبعها...

٣ً كيف تتصل الهيئات العلمية في الامم العربية حتى تضع بالاشتراك كلمات تستعمل بالاتحاد...

٤ً ما هي السلطة التي يتخذها المجمع المشترك وكيف ينالها...

هذه هي المسائل التي يجب بحثها والبت فيها حتى يتم امر القواميس.

واعرب غيره من المكاتبين عن مثل هذه السؤالات مما يدل على اهميتها للوصول الى نتيجة عملية.

هذا وان يتفضل علماؤنا الكرام ويراجعوا ما كتبه الاب شيخو في المشرق فانهم ليجدون فيه اجوبة سديدة على مقترحات السيد المغربي.

راجع المشرق سنة ١٩٢٢: الوسائل لترقية اللغة العربية (١٠٤٣–١٠٥٢)—وسنة ١٩٢٥: حقوق اللغة العامية بازاء اللغة الفصيحة (١٦١ – ١٧١)

ماذا في حضرموت

حضرموت بلاد موقعها شرقي اليمن بين الدرجتين ٤٧و٥٣ في الطول شرقاً ، والدرجتين ١٥و١٩ في العرض شمالاً . واسمها نسبة الى حضرموت بن حِمْيَر الاصغر. وعدد سكانها غير معروف بالتدقيق وقيل انه لا يزيد على ١٥٠٫٠٠٠ . وصف شليفر في الموسوعة الاسلامية اخلاق سكانها ، فقال فيهم : لهم مزايا صالحة وفيهم الولع بالعمل والحماسة القومية . قد يهاجرون الى

مرافئ جزيرة العرب ، والى مصر ، والى الهند الانكليزية والهولندية . ويعودون الى بلادهم بعد جمع الاموال ومدة غياب طالت عشرين او ثلاثين سنة . وهم على المذهب الشافعي ، وعلى جانب عظيم من التعصب الديني المخلوط بالمعتقدات التافهة . على ان حالة المرأة عندهم احسن منها في سائر انحاء الجزيرة . فلا يطلّقون ولا يعدّدون الزوجات . وحضرموت بلاد مجهولة ، وقليلون هم الذين زاروها من الزوّار . فكل ما يفيدنا عن احوالها جدير بان يذكر ويحفظ .

جاء في العرفان بتوقيع «حضرمي» (كانون الثاني : ٢٦) ما ملخصه :

«اني منذ بلغت سن الرجولية الى ان دخلت في دور الشيخوخة لم ازل ساعياً في ترقية اخواني الحضارم . ومن اجل ذلك اتيت على ذكر مـا يلي عسى ان ننتبه الى الدواء من النظر الى الداء .

« يسافر الحضرمي الى احدى الجزائر الهندية (جاوه وغيرها) فيتعاطى اهون المهن ويتجرع الغصص ، فمن اخفق مسعاه بقي في حالة لا حاجة لبيانها . ومن نال مراده « يخرب الديار ويهلك الاشجار ويقتل الرجال ويرمل النساء وييتم الاطفال ويقطع السبل ويأكل اموال اليتامى واوقاف المساجد والاربطة فتعطل بذلك المزارع وتغلو الاسعار وتتنافر القلوب . . . »

« وتنقسم الامة الحضرمية الى اربعة اقسام :

الاول العلويون وهم حملة الشريعة والساعون في نشر العلم ولكن ليس لهم قوة تنفيذية فأمورهم متوقفة على من رغب اليهم .

الثاني الفلاح او الضعيف بالإصطلاح الحضرمي . ووظيفته الزراعة وبناء المساكن والمراصد وحفر الآبار وما اشبه ذلك .

الثالث القروي أو الحضري ووظيفته التجارة والصياغة والحدادة والحياكة والنجارة الى غير ذلك .

وهؤلاء الثلاثة الأقسام عزل عن السلاح فهم المظلومون في اموالهم وارواحهم فإذا قتل احد من هؤلاء الثلاثة يعد دمه فرثاً اي لا يجوز اخذ ثأره ابداً فترمى تلك الروح الطاهرة كرمي الفرث لا يقبل سؤال سائل في ذلك .

الرابع القبيلي وهم حملة السلاح المتغلبين على الجهة الحضرمية المستبدة بارتكاب انواع المظالم وابشع واقبح الأعمال واكثرهم لا يفقهون من الدين شيئاً

فمن هؤلاء الملوك والامراء والوزراء وهذه عكس الطبيعة فالامم الراقية لا تنصب احداً في امرها الا الذي ترى فيه كفاية ولياقة واهلية حسباً ونسباً وعلماً وورعاً وعقلاً وحلماً الى آخر ما يليق بذلك المنصب . ولكن الحضرمي بعكسه . فهذا ما جعلني حائراً »

زيادة مواسم القز

جاء في المجلة الوطنية (نيسان ص ٨) ما ملخصه :

«لقد اكتشفنا طريقة جديدة لزيادة انتاج الموسم ، وذلك بفضل نوع جديد من التوت . اصله من مصر ولا يتطلب ارضاً خاصة واننا لنؤثره على انصاب التوت المعروفة عندنا للاسباب التالية :

١ً ينمو بسرعة عجيبة .

٢ً يكتسي بالبراعم في اواخر الشتاء ويعطي ورقه قبل التوت العادي بشهر .

٣ً اوراقه عريضة جداً ، فان الورقة منه تبلغ خمسة اضعاف الورقة التي ينتجها توت لبنان ، ومع هذا فهي رخصة جداً تلتهمها الديدان بكل سهولة .

٤ً هذه الاوراق رقيقة لا تحمل العصير الكامن في اوراق توت لبنان الذي يسبب للدود اذى كبيراً ويميته .

لديّ في املاكي (الضمير للنائب اميل ثابت صاحب المجلة) في جديدة المتن بعض نماذج من هذا التوت وما على اصحاب المزارع الّا ان يأتوا لمشاهدتها والاستفادة منها .» ف . ت .

على عهد الامير

لماذا ؟

رواية لبنانية تاريخية

بقلم فؤاد افرام البستاني

وقد يكون من الابناء ضحايا في سبيل آبائهم
من حيث لا يعلمون

الفصل الثامن

في بعذران (تابع)

وفي صباح اليوم الثاني ، بعد ان تناول الامير جهجاه مع ضيفيه طعام الصباح ، اقبلوا الى غرفة الست سعدى يسلّونها ويسألونها كيف قضت ليلتها ؛ فرأوها لا تزال نائمة . والتفت الأمير بشير فرأى على الطراحة الى جنب الفراش كتاباً ضخماً ، مجلداً برقّ غزال ، وقد فُتح ووضع مقلوباً على الطراحة كأن صاحبه كان يقرأ فيه ثم عرض له أمر ، فقام لقضائه وقلب الكتاب محافظاً على الصفحة التي وصل اليها . فتقدّم وتناول الكتاب ، وهو لا يشك في انه لبدور اذ لم يكن غيرها يتقن القراءة في قصر بعذران . وفحصه فاذا به الانجيل مطبوعاً بالحرف الكرشوني على ورق سميك ؛ واذا بالصفحة المفتوحة قد اسودّت اطرافها من تأثير الاصابع فيها دلالة على انها تُقرأ اكثر من غيرها . واجال نظرًا فضوليًا في تلك الصفحة ، فاذا فيها :

« لا تخافوا ممن يقتل الجسد ولا يستطيع ان يقتل النفس ؛ بل خافوا ممن يقدر ان يُهلك النفس والجسد في جهنم . أليس عصفوران يُباعان بفلس ، ومع ذلك فواحد منهما لا يسقط على الارض بدون ابيكم . وانتم فان شعر

رؤوسكم جميعه مُحصى. فلا تخافوا فانكم افضل من عصافير كثيرة...»

ثم ردّ الكتاب الى مكانه مفتوحاً ، ووقف هنيهةً ، حائراً ، جامد النظر ، مفكراً بمعاني تلك الآية ، وبما دفع بدور الى التأمل فيها ، وقد تجمهرت في رأسه افكار ، وجالت في صدره عواطف ، وسارت في مخيلته اشباح لم يبددها سوى صوت بدور تصبّح اباها. فسألها اين كانت ؟ فقالت :

— اغتنمت فرصة نوم والدتي ، فذهبت لحضور قدّاس الخوري يوسف.

ثم اقبلت على الامير ورفيقه تصبّحهما فرداً عليها الصباح ، وقد بهت الامير لتلك الطمأنينة تجول في مقلتيها بعد ان فارقهما الجمود ، وعاد شيء من الحياة الى خديها . فتعجب وسرّ بهذا الانقلاب.

***

رجع الخوري يوسف بعد الظهر لعيادة الست سعدى ، فرآها مطمئنة الظاهر ، ساكنة الألم ، تتحادث مع الضيفين ببشاشة وارتياح . فجسّ نبضها ، ثم رشّها بشيء من الماء المقدّس كان يحمله في قنينة صغيرة لا تفارق عُبّه. وبعد ان استراح قليلاً ، نهض كأنه تذكّر شيئاً ، واجال يده بسرعة في جيوبه جميعها ثم اخرج قطعةً من قماش بني عليها صورة السيدة العذراء ، فاناطها برقبة الامير بشير داعياً له بالتوفيق في كل مآتيه ، سائلاً السيدة ان تحرسه في جميع المخاطر والمعارك . فقبّل الامير يده شاكراً ، واجاب بانه يتكل على الله وعلى دعاء الخوري في كلّ اعماله.

وبينا الجميع يتبادلون ارق العبارات ، واخلص العواطف ، دخل فرحات فجاءةً فقال :

— يا سيدي ، رأيت فارساً يصعد الوادي بسرعة ، ووجهته القصر . وكأنه من رجالنا في دير القمر . فانتبه الجميع صامتين ، وقال الامير :

— لا اراه الّا رسولاً من اخي حسن يعلمنا بزحف العدوّ ويطلب حضورنا. انتظره حتى يصل وادخل به عاجلاً.

وما هي دقائق حتى دخل الفارس . فقبل يدَ مولاه ، وسلّم على الحاضرين وقال :

— يقول لـك سيدي الامير حسن ان الامراء اللمعيين استدعوا الى المتن الامير حسيناً واخاه الامير سعد الدين ، فقدما عليهم برجالهما . وتجمهر الجميع في سهل البقاع ، وهم اليوم نازلون بارض جديتا ولا يبعد ان يزحفوا علينا قريباً . فما العمل ؟ وما هي ارادة سعادتكم ؟

ولم يكن اتحاد الامراء اللمعيين بابناء الامير يوسف منتظراً بهذه السرعة، فبهت الجميع للخبر . وعاود الست سعدى الاصفرار ، وبدت ظواهر الايجاس على بدور . اما الامير فاطرق قليلاً ثم قال :

— قل لحسن ان يرسل حالاً الى حمَّانا الامير حيدر ملحم مع المعلم نقولا ليستميلا المتنيين بالوعد او بالوعيد . ثم يجهز مائتي رجل فيسيّرهم بقيادة الامير حيدر احمد على قلعة قبّ الياس . ثم يسير هو بباقي رجالنا الى البقاع . فاوافيهم انا برجال الامير جهجاه غداً صباحاً الى نبع الباروك .

فحنى الرسول رأسه ، وقبل يد مولاه ، وعاد مسرعاً من حيث أتى.

امَّا الامير جهجاه فاستدعى دبياً وغزاً وامرهما بالمناداة في رجاله ، ووجوب الاستعداد للسفر قبل الصباح . بينا كان الامير بشير يطمئن الست سعدى وبدوراً الى نتيجة ذاك الخبر ، مؤمّلاً ان المعركة تسفر عن ظفر مبين لما يعهده في رجاله من الشجاعة والصبر ، ولما يؤمله من وصول نجدة الجزّار في القريب العاجل وهي لا تقلّ عن الف رجل .

غير ان للقلب شعوراً لا تقوى القياسات العقلية على اقناعه . فلم تطمئن الست سعدى الى شيء من ذلك ، ولكنها اظهرت رباطة جأش وتكلّفت الابتسام ، فجارتها بدور في تلك المظاهر .

وعند سحر اليوم الثاني غصّت كنيسة الضيعة الصغيرة بالاميرين ورجالهما . وقد اقبلوا مدجَّجين بالسلاح ، معدّين العُدد ، ليتزوّدوا معونة السيدة قبل السفر . فدخلوا دروزاً ونصارى يسمعون قدّاس الخوري يوسف ، ويقبلون بركته ودعاءه . وكانت بدور وراء الجميع مضطربة غرقى في تأملاتها ، ترفع نظرها الى ابيها بين الفينة والفينة وتودّ لو كان بامكانه عدم الذهاب الى تلك المعركة . ثم تعود فتجتهد عبثاً باثارة عواطف الطمأنينة . ولما انتهت الذبيحة الالهية

خرجوا الى الساحة وكلهم يدهن جبينه بالماء المقدس ، ثم يحتفر بين اظافره قليلاً من كلس الكنيسة فيضعه في عمامته.

وقبل الرحيل عرّج الاميران والشيخ سلوم وفرحات مع الخوري يوسف على قصر بعذران فودّعوا الست سعدى التي لم تكن تمالك جفونها ان تطرف ، ولا لونها ان يصفر . ولكنها تجلّدت اذ رأت ابنتها تتجلّد امامها . حتى اذا خرج الراحلون استسلمت الاثنتان للحزن واجهشتا في البكاء .

***

كانت منخفضات الباروك ومرتفعاته تموج بالرجال ، وتتجاوب اصداؤها حاملة صهيل الخيول ، وضجيج اهازيج الحرب ، حين اطلّ الامير بشير . فعلا الهتاف ، ولمعت السيوف ، وأشرعت الرماح ، وتلاعبت الحراب فألّفت نصالها دوائر برّاقة تحت اشعة الشمس الصافية . ولم يكد يصل حتى سكنت الحركات ، وخفتت الاصوات ، واصطفّ الجميع حوله حلقات حلقات ، وعيونهم شاخصة الى وجهه ، وآذانهم مرهفة لسماع صوته . فحيّاهم متمنياً لهم خير صباح ، وخير نجاح في تلك المعركة . ثم كلمهم ببطء وقوة وصوّر امامهم الظفر ، فأثار في صدورهم الحماسة والجرأة . واذ عرف ان الهوس بلغ منهم اقصى الدرجات ، شاء ان يدفعهم الى الهجوم ، فانشد على مسامعهم بلفظ فخم ، ونبرة حادّة ، قصيدة ألف انشادها في معاركه المتعددة ، والفوا سماعها من فيه حتى حفظوها ، واستقرّت ابياتها في مخيلاتهم فاسكرتهم وكانت لهم بمثابة التعاويذ الدافعة الى الفوز والانتصار . قال ، وهم يردّدون بعده كل بيت بمفرده :

هذا الرشاق ، امام السادة النجبِ ، احبُّ لي من عناق الغيد في الحُجبِ !
وشرب كأس المنايا ، في عجاج وغىً ، الذُّ لي من كؤوس العيش بالطربِ !
ما همّتي بجفون الغيد ذابلةً ، بل همّتي بشؤون الذُّبل اليلبِ
وليس للمرء عزٌّ في مراتبه ، ان لم يروّ ظما الهندية القُضُبِ
عاهدت بيض الظبى أني اجرّعها مناهلاً من دم الاعناق واللببِ
اني امرؤ لستُ من قوم ، اذا اقتتلوا ، رأوا الهزيمة منجاةً من العطبِ
قومي ذوو الشرف السامي ، قريش ، وقد نسبت من آل مخزوم ؛ فيا نسبي !

سموت «بالحارث» المقدام ، نعمَ فتىً ! و« مالك » ، ثم «سعد » ، خير منتسبِ
و« قاسمٍ » و« شهاب » طاب محدهم . فسائل العُرب عن جدّي النبي ، وابي !
قومٌ حلا لهم المعروف في ، سلمٍ ، والصدق في كَلِمٍ ، والفتك في حرب
نعم الصدور ، اذا حلّوا الصدور ، وهم أُسد العجاج ، واهل المنزل الرحب
ما حلَّ عزمَهم المشدودَ موتُهم تحت الرماح العوالي عن علا الرتبِ
سلي الرماح ، اذا لاعبتها بيدي ، كم قسورٍ عفّرت خدّيه في الترب !
وسائلي البيض في كفي ، وكم هتكت فروج ليثٍ بخدر الدلص محتجبِ !
بني شهاب لكم مني فتى أَسدٌ يرى رشاق القنا بُرءا من العطبِ
بني شهاب لكم مني فتى اسدٌ يرى صليل الظبى ضرباً من الطرب
بني شهاب لكم مني فتى اسدٌ يرى قراع العدى نوعاً من اللعبِ
بني شهاب لكم مني فتى اسدٌ يرى ضرام الوغى بردًا لذي لهبِ
بني شهاب لكم مني فتى اسدٌ يرى شراب الدما اشهى من الحببِ
بني شهاب لكم مني فتى اسدٌ يفني الكتائب بين الكرّ والطلبِ
وان لي منكم أسدًا ، اذا حملوا ، خلت الجبال انثنت كرًّا على الهضبِ
من كل اروع تحت الدرع تحسبه بدرًا تقمّص في ثوب من السحبِ
ان هزّ في مفرق الاعداء اسمره تفرّقوا ، وغدوا بالذلّ والرعبِ
ويل لاعدائنا ، ان قال قائلنا هذي العداة ! فجدّوا يا ذوي الحسب !
تلقى الخوارج من آل الشهاب كما تلقى العفاريتُ رجماً من لظى الشهبِ
فجاهدوا يا بني الاعمام ، ان لكم عزًّا تسامى على الاعجام والعرب
تمسكوا بحبال الله ، واعتصموا ومن يكن واثقاً بالله لم يخبِ ! [1]

* * *

١) هذه القصيدة للامير عمر ابن الامير قيس الشهابي الاذرعي حاكم حوران بعد ابيه (٨٦٢ – ٨٩٣م) انشدها اذ كان يحارب القرامطة ، فهيّج بها الحماسة في صدور رجاله وكانوا خمسة عشر الفاً فقاتلوا خمسين الفاً من الاعداء . وقد روى التاريخ ان الامير بشير كان ينشدها في حروبه .

الفصل التاسع

مصاب جديد

« حضرة العزيز غانم حرسه السيدة

« لا تخافوا ممن يقتل الجسد ولا يستطيع ان يقتل النفس بل خافوا ممن يقدر ان يُهلك النفس والجسد في جهنم . أليس عصفوران يُباعان بفلس ومع ذلك فواحد منهما لا يسقط على الارض بدون ابيكم . وانتم فان شعر رؤوسكم جميعه محصىً . فلا تخافوا فانكم افضل من عصافير كثيرة »

« نعم ، ايها العزيز ، لا يسقط عصفور على الارض بدون ارادة ابينا السماوي ! ولولا هذا الايمان ، ولولا هذه الثقة بالعناية الالهية ، لما قرأتَ لي هذه السطور ، بل لما سمعت عني سوى خبر انتحاري . لأني احتملت ما ليس للانسان الفرد طاقة باحتماله ، وصبرت على مكاره تعجز القوة البشرية وحدها عن الصبر عليها .

« ابي قتيل ، يا غانم ، وامي مريضة ، وانت شريد ، ورجالنا مبدّدون ، واموالنا مهملة . ويُطلب مني الصبر على ذلك . عجيبة حكمتك يا ربّ ! ولكن ليس لي اعتراض عليها ! ولست اخاف ممن قتل الجسد ، بعد ان شاءت رأفتك ان يتزوّد القتيل بالاسرار الالهية ، فيخلص نفسه !

« لم اكتب هذه السطور شاكيةً ولا متذمّرة ، بل ضاق صدري عن عظم حزني في ساعة ضعف ، فاحببت ان تشاطرني اياه ، فتخفف بذاك عذابي . وجفّت عيناي حرقةً وتلهفاً ، فأحببت ان استعين بدموعك ، فتعوّض عن تقصيري . ثم شعرت بعذوبة التعزية الالهية ، فاحببت ان تجعلها لي وافرة بصلواتك .

« فاغفر لي هذه الثورة ، ودم سنداً لمن لم يبقَ لها سندٌ سواك .

بدور الحرفوش

عن قصر بعذران في ٢٧ اذار ١٧٩٦ »

* * *

لم ينهِ غانم قراءة المكتوب حتى دِيرَ به فتلمس ديوانه فانطرح عليه ، وانحلّت اصابعه عن الورقة فسقطت في ارض الغرفة . وبعد فترة جحظت فيها عيناه ، وانضبطت انفاسه ، حنى رأسه وتفجّرت دموعه فجأة ، فاخذ ينشج نشيج الطفل . ودموع فرحات تجيب دموعه فتعزيه ، وتزيد حزنه في وقت واحد .

ثم تجلد والتفت الى فرحات ، فكفكف هذا عبراته ، واخذ يقصّ عليه بتهدُّج واسىً تفاصيل مقتل الامير جهجاه . وغانم يحدّق اليه وفي عينيه امائر اللوعة ، وعلى وجهه اقصى مظاهر الحزن .

اخبره فرحات كيف صاروا من قصر بعذران الى مفاجأة العدو ، وكيف استقبلهم رجال الحزب في نبع الباروك . وكيف نشب القتال شديداً في قلعة قبّ الياس ، وكان قد قدم اليها الامير حسين بالف نفر فطالت المعركة واسفرت عن عدة قتلى منهم الشيخ غر النكدي . وانه لولا رجال الامير حيدر احمد لدارت الدوائر على جيش الامير .

فقاطعه غانم متأثراً :

— وهذا اللعين الجزّار ، الم يُرسل رجاله لنجدة الامير ؟

— بلى ولكن عسكره وصل متأخراً فحلّ في نبع الباروك . وفي اليوم الثاني نهض بهم اميرنا الى ارض المغيثة فنزل في برارج . وارسل رجاله تنقل اخبار وصول العسكر من قرية الى قرية . فالقوا الرعب في قلوب السكان ، حتى اخذوا يتباعدون عن ابناء الامير يوسف . وضعف حزب هؤلاء فلم يروا من نجاة سوى الفرار ، ففروا الى نواحي طرابلس .

اما اميرنا فلم يكن ليرضى بهذا النصر البسيط بعد ان اعدّ تلك المعدات . فما كان منه الّا ان قام في طلبهم جاداً حتى هبط وطا الجوز في بلاد كسروان ، ومعه المرحوم الامير جهجاه ، والشيخ بشير جنبلاط ، والمشايخ العمادية . ولكنه لم يرَ للاعداء من أثر ، ولم يشاهد من رجال حزبهم الّا بعض المشايخ الدحادحة وكانوا قد انفصلوا عنهم والتجأوا الى الامير طالبين عفوه . فعفا عنهم ، واكرمهم واقامهم كتبة عنده وعند اخيه الامير حسن . واحيي تلك الليلة مع الامير

جهجاه والشيخ بشير يتباحثون في كيفية العمل لإدراك جيش العدوّ. وكانوا قد استبقوني قريباً منها لأمرٍ يحصل فيحتاج الامير الى خدمتي. فسمعتهم يقررون المسير الى جسر الماملتين والوقوف عنده، ثم اذاعة الخبر بان الجزار لم يأذن للامير بتجاوز تلك النقطة الى ايالة طرابلس. وكان القصد من ذلك ان يغترّ ابنا الامير يوسف بهذا الخبر، فيظلّا مع رجالهما مطمئنين في البترون، فيدهمهم العسكر ليلاً.

وهكذا كان! فأرسل الامير من المعاملتين، في اول الليل، اخاه الامير حسن مع الامير حيدر احمد والشيخ بشير في عدد من العسكر. الّا ان الاقدار عاكستنا ففشلنا، وكان في عمر الاميرين فسحة، فهربا ملتجئين الى فاضل آغا رعد متسلّم طرابلس. فانتقم الامير حسن ورجاله من هذه المعاكسة بنهب البترون. اما السبب في ذاك الفشل فكان الشيخ اسعد النكدي الذي عرف بقيام عسكرنا، فسبقه الى البترون ونبه الاميرين فهربا برجالهما.

فنظر غانم نظرة أسف وتحسر. اما فرحات فتابع بصوت مطمئن:

— ولكن الامير لم يتراجع امام هذا الفشل بل اصدر امره الى اخيه ان يعاود السير وراء الفارين حتى يدركهم. فسار الامير حسن في عسكر الجزار الى زغرتا ليحاصر طرابلس. وصعد الامير في عسكره الخاصّ الى اهدن. وظلّت الحال مدة على هذا الشكل حتى لم يرَ الامير حلّاً للامر، واستبطأ الجزّار نتيجة تلك المطاردات. فتراجع العسكر وعاد اميرنا مع المرحوم الامير جهجاه الى دير القمر، بعد ان ابقى اخاه في جبيل مستعداً لكل ما يحدث من الطوارئ.

— وابنا الامير يوسف؟

— سارا من طرابلس الى الزاوية مع من بقي معهما من الرجال، ونزلا في راس كيفا. وهناك حصل انشقاق جديد في عسكرهما، فخذلهما الامير قعدان والامير سلمان والشيخ حسن جنبلاط مع رجال حزبهم، ورجعوا جميعاً الى البلاد تائبين، واقاموا في بسكنتا ريثما يرضى عنهم الامير. فتوسط امرهم الشيخ بشير فعفا اميرنا عنهم.

وبعد حملة جديدة قام بها الامير حسن على بلاد الشمال ، هرب الاميران من راس كيفا الى بلاد عكار فعاد الامير الى جبيل . وقد غاظت تلك الاعمال الامير بشير فضبط ارزاق الاعداء جميعها ، وهدم مساكن رجالهم ، وجمع اموالهم ، فارسل منها قسماً وافرًا الى الجزار ، وتصرَّف بالباقي .

ولكن حدث بعد ذلك امر لم يكن في الحسبان . وهو ان خليل باشا والي طرابلس اراد ان يتشبه بالجزار . فانعم على احد عدوّينا ، الامير سليم ، بولاية بلاد جبيل . ولما احتج هذا مظهرًا قوة الامير حسن ، ارسل معه الوالي عددًا من عسكره . وكذلك قدم لنجدته من عكار محمد المرعب برجاله ، ومن الضنيَّة الشيخ عباس الرعد . فبلغ عسكره نحو الستة آلاف .

فلما بلغ الخبر اميرنا اصدر امرًا بالنفير العام . فلم يمضِ القليل حتى اجتمعت رجالنا ، فسار بهم الأمير حسن والامير جهجاه الى ارض الفرطوش ، فالتقيا برجال الامير سليم . وانتشبت معركة هائلة قُتل فيها ستون نفرًا من الاعداء . ولم يسلم الباقون الّا بالهرب الى طرابلس . فارسل حينذاك الامير بشير كتاباً الى خليل باشا يعرض له واقعة الحال ، شارحاً ان الجزّار غضبان على ابني الامير يوسف ، وانهما لا قدرة لهما على مقاومة الجزّار ، ملتمساً منه ان لا يقبلهما عنده . ثم اوقف العسكر منتظرًا الجواب .

— وماذا كان جواب خليل باشا ؟

— لم يجاوب . بل جيّش عسكرًا جديدًا وارسله مع الاميرين للانتقام من الامير حسن . ولكن نتيجة هذه المعركة لم تكن بافضل من نتائج المعارك السابقة . فانهزم الاعداء هزيمة معيبة . وعلى اثر ذلك بلغ الغيظ من خليل باشا اشدّه فارسل يطلب معاونة والده عبدالله باشا والي دمشق . فاجابه الى طلبه ، وكان المنلا اسمعيل في خدمته اذ ذاك . فارسله في عسكر جرار الى البقاع حيث التقى برجال الاميرين فالّفوا جيشاً عظيماً .

وكانت اخبار هذا الجيش تصل مطّردة الى معسكرنا ، ويبالغ فيها الراوون . فمنهم من يقول خمسة آلاف ، ومنهم من يقول سبعة ، ومنهم من يصل بالعدد الى عشرة آلاف . حتى كادت الخشية تتملك قلوب رجالنا ، وكاد

القوّاد يهابون السير الى ملتقى هذا الجيش ، لو لم يتدارك الامر المرحوم الامير جهجاه — واحسرتي عليه ! — فيخطب في الجمع منشطاً ومشجعاً ؛ حتى دبت الحماسة في القلوب ، والقى الجميع زمام القيادة بين يديه ، فنهض بنفسه ، وركب متقدماً العسكر الى البقاع مقرّ العدو . وهناك كانت « حركة » مندرة المشؤومة .

وهنا توقّف المحدّث قليلاً ليمسح عينيه ، ويسكن صدره الجائش ، ويريح صوته المتهدّج . وكأنه اشفق على غانم من طول الانتظار ، فتابع :

لا شك انك سمعت بمندرة . هي ارض عند قب الياس زحف اليها عسكر المنلا اسماعيل من المرج حيث كان مخيّماً . فالتقاه فيها عسكر الامير جهجاه الذي كان سائرًا من ارض المغيثة . وقد شاء القدر ان تسقى تلك الارض باغلى دمائنا . فشبت فيها تلك المعركة الهائلة . وكان الامير جهجاه ، رحمه الله ، اراد ان يشجع الرجال باعماله كما شجعهم باقواله ، فجعل يحمل على الصفوف الحملات الصادقة ، وسيفه يتنقّل على الجماجم فتتساقط ، ويهوي على الاكتاف فتترايل ، ويضرب الآباط فيلمع من حنايا الضلوع . حتى خاف عليه الجميع من عاقبة تلك الجرأة ، وعبثاً حاول من كانوا يحمون ظهره ، وانا في جملتهم ، ان يردّوه عن تلك المغامرات . فلم يكن ليرعوي ، ولا ليرتد ، بل كان يصيح باعلى صوته كلمات حفظها الجميع وطبقوها بالحرف وهي : « يجب ان نهزمهم قبل مغيب الشمس ! »

وهكذا كان فهزمناهم ! ولكن ليتنا لم نفعل ! فلربما كنا حفظنا حياة قائدنا !

ثم التفت الى غانم فرآه ضابطاً انفاسه ، تحوم الدمعة حول جفونه فيردّها مرغمة ، وتعلو الزفرة في صدره فيعيدها آنة ، وهو يحدّق الى مخاطبه منتظرًا تفاصيل المصيبة ، فتابع :

(لها بقية)

شذرات

المحصولات الداخلية في مناطق الانتداب سنة ١٩٢٧

الزراعة (تابع)

الحرير

بلغت المحصولات الحريرية في سنة ١٩٢٧ مجموعاً عاماً قدره ٣,١٨٥,٠٠٠ كيلوغرام من الشرانق الفريضة (غير المخنقة) تقسم بين المناطق كما يلي:

لبنان	٢٠٠٠٠٠٠	كيلوغرام
دولة العلويين	٥٣٨٠٠٠	«
الاسكندرونة	٦٤٧٠٠٠	«
	٣١٨٥٠٠٠	كيلوغرام(١

وان هذه الارقام تزيد عن ارقام محصولات السنة الفائتة ١٩٢٦ التي بلغت ٢,٩٦٠,٠٠٠ كيلوغرام . وهي تدل على تحسين محسوس في المحصول العام . وذلك بالرغم من التقلبات الجوية التي الحقت اضرارًا جمة في محلات تربية الدود الموجودة في السهول . فاذا ما انتبهنا الى هذا الامر ادركنا ان المحصولات تقدمت كثيرًا سنة ١٩٢٧ .

اما اعادة تشجير سهول التوت فقد تابعت على تقدم ايضاً ، ويمكننا تعديل النصبات الجديدة المغروسة في المناطق الحريرية بعدد ٥٥٠,٠٠٠ نصبة .

الدخان

بلغت محصولات الدخان في لبنان ٦٥٠,٠٠٠ كيلوغرام من الورق ، وفي بلاد العلويين ٥٠٠,٠٠٠ كيلوغرام . وبلغت محصولات التنباك ٤٠٠,٠٠٠ كيلوغرام في بلاد العلويين

الصوف

فاقت محصولات الصوف في السنة ١٩٢٧ محصولات السنين السابقة . وها كها مرتبة في الجدول التالي:

١) من المفيد هنا ان نذكر اننا وقفنا على احصائية قديمة لمحصول الشرانق في العام سنة ١٨٨٠ فرأينا ان نصيب سورية ولبنان في ذلك العهد كان ٢,٧٠٠,٠٠٠ كيلوغرام [المشرق]

سنة ١٩٢٤	٢٠٠٠٠ بالة
« ١٩٢٥	٢٦٠٠٠ «
« ١٩٢٦	٢٥٠٠٠ «
« ١٩٢٧	٣٠٠٠٠ «

الجلود

اتت سنة ١٩٢٧ بنتائج حسنة فيما خص محصولات الجلود . وهاك جدولاً بمحصولات ولاية حلب في السنوات الثلاث الاخيرة :

	حملان	كباش	ماعز
سنة ١٩٢٥	١٣٠٠٠٠ جلد	٨٠٠٠٠ جلد	١٦٥٠٠٠ جلد
« ١٩٢٦	٣٢٠٠٠٠ «	١١٠٠٠٠ «	٢٠٠٠٠٠ «
« ١٩٢٧	٣٥٠٠٠٠ «	١٢٥٠٠٠ «	٢٢٠٠٠٠ «

الزيتون

على الرغم من ازدياد مساحة الارض المغروسة زيتوناً التي بلغت ٧١,٠٣٨ هكتاراً سنة ١٩٢٧ بعد ان كانت في السنة السابقة ٦٧,٠٦٨ هكتاراً ، فان محصولات الزيتون لم تأت بنتائج مرضية فانها بعد ان بلغت في سنة ١٩٢٦ ٨٥٠,٠٠٠ قنطار لم تبلغ هذه السنة سوى ٥٠٩,٦٣٦ قنطاراً . على انه من الموافق ان نذكر ان هذه المحصولات في سنة ١٩٢٥ لم تتجاوز ٤٠٠,٠٠٠ قنطار . اما نقص محصولات السنة الحالية فسبب عن الاحوال الجوية السيئة التي اضرت كثيراً بمناطق الزيتون في شمالي سورية كإدلب والحريم ، وعن انتشار الحشرات المؤذية للزيتون . وعلى كل فان الاهتمام بزيادة غرس الزيتون لا يزال مصروفاً ، ولاسيا في مناطق دولة العلويين .

الفواكه

اما الفواكه فقد اتت بنتائج حسنة في سورية حيث بلغت محصولات العنب ٤٤٨,٥٠٠ قنطار يقابلها ٣٨٦,٠٠٠ قنطار في السنة ١٩٢٦ ، ومحصولات المشمش ٢٥٣,٦٦٢ قنطاراً يقابلها ١٨٢,٦١٢ قنطاراً في السنة الفائتة . وقد أقيمت في دمشق في شهر حزيران ١٩٢٨ مباراة عرضت فيها جميع الاصناف الحاصلة في سورية ، فنالت نجاحاً باهراً .

بيد ان هذا التقدم في محصولات الفواكه لم يشمل لبنان حيث نقصت

نقصاً محسوساً فانحط مجمل محصولات الليمون من ١٤٠,٠٠٠ قنطار في السنة الفائتة الى ٣٥٠,٠٠٠ قنطار هذه السنة . وكذلك العنب فلم تبلغ محصولاته هذه السنة سوى ٢٥٠,٠٠٠ قنطار وقد كانت في السنة الفائتة ٤٥٠,٠٠٠ قنطار . ولكن التقدم جارٍ في غرس اغراس الموز وفسائل النخل في جميع السواحل . ومما يجدر بالذكر تشجيع الحكومة لتنمية هذه الحركة بالمشاتل التي تؤسسها، وبالاغراس والفسائل التي توزعها مجاناً ، والاعفاءات من رسوم الدخولية التي تمنحها للمزارعين الذين يستوردون هذه الاغراس من الخارج .

فتاوى قانونية لاهوتية

نشر «البشير» هذه الفتاوى الصادرة من مجمع الكنيسة الشرقية في رومة للموارنة المقيمين في الولايات المتحدة من اريكة الشمالية ، فرأينا نشرها في « المشرق » تعميماً للفائدة :

١ — هل يلتزم الموارنة الذين لهم مسكن او شبه مسكن في الولايات المتحدة من اريكة الشمالية بشرائع دستور الحق القانوني الجديد ؟

٢ — أيستطيع مارونيان لهما مسكن او شبه مسكن في الولايات المتحدة من اريكة الشمالية ان يعقدا زواجاً صحيحاً وهما مرتبطان بموانع ملغاة في الحق القانوني الجديد ولكنها لا تزال لدى الموارنة من الموانع المبطلة للزواج والمعمول بها ؟

٣ — ايستطيع مارونيان لهما مسكن او شبه مسكن في الولايات المتحدة من اريكة الشمالية ان يعقدوا زواجاً صحيحاً قبل ان يكمل الخطيب السنة السادسة عشرة وقبل ان تكمل الخطيبة سنتها الرابعة عشرة اذا ما ثبت ان البلوغ ناب مناب السن ؟

٤ — هل يلتزم الموارنة الذين لهم مسكن او شبه مسكن في الولايات المتحدة من اريكة الشمالية بالصوم والقطاعة بموجب شرائع الحق القانوني الجديد وبموجب مراسيم الاساقفة المكانيين وفقاً للفقرة الثانية من القانون ١٢٤٤ ؟

٥ — هل يستطيع الموارنة الذين لهم مسكن او شبه مسكن في الولايات المتحدة من اريكة الشمالية ان يتمتعوا بانعام اقامة ثلاثة قداسات في يوم تذكار جميع الموتى المؤمنين ؟

٦ – هل يكون عقد الزواج صحيحاً بين بطرس الماروني ووردة الروم الارثوذكس اللذين لهما مسكن او شبه مسكن في ابرشية بوفالو اذا ما حضر العقد وباركه كاهن ارثوذكسي شرقي امام شاهدين ؟

٧ – هل يكون عقد الزواج صحيحاً بين يعقوب الماروني وخيلانة الروم الارثوذكس اللذين لهما مسكن او شبه مسكن في ابرشية بوفالو اذا ما تمَّ امام كاهن روم كاثوليك غير خادم رعية وامام شاهدين ؟

الجواب

على الاول : بالنفي وفقاً للقانون الاول من الحق القانوني الجديد نفسه ، ولكن ما خلا مراسيم الكرسي الرسولي الخاصة المتعلقة بهم مع بقاء التدبير المتخذ في العدد التاسع من البراءة البابوية المصدرة بهذه العبارة : « عظمة الشرقيين » Orientalium dignitas وهو « مَن كان من الشرقيين مقيماً في خارج حدود اراضي بطريركيته فليكن خاضعاً لادارة الاكليروس اللاتيني ولكن يظل متقيداً بطقسه ».

وعلى الثاني : بالنفي

وعلى الثالث: بالايجاب

وعلى الرابع : سبق الجواب عليه ضمناً في الجواب على الاول . ولكن الاب الاقدس تنازل وعمم للموارنة وسائر الشرقيين الذين لهم مسكن او شبه مسكن في الولايات المتحدة باميركة الشمالية الانعام الذي منحه للروثان المقيمين في الولايات المتحدة من اميركة الشمالية وفي كندة اعني به ان يتمتعوا بالخضوع للشرائع المحلية في الصوم والقطاعة.

وعلى الخامس : بالنفي على ما طلب وفقاً للحل الذي اعطاه مجمع انتشار الايمان المقدس في ١٣ اذار سنة ١٩١٦

وعلى السادس: بالايجاب

وعلى السابع : بالايجاب

أعطي في رومة في ١٩ ك ١ سنة ١٩٢٨

الامضاء: امين الاسرار : الكردينال سيناررو

المعاون : ا. ج. شيكونياني

مطبوعات شرقية جديدة

Dr J. Karst : Grundsteine zu einer Mittelländisch—Asianischen Urgeschichte *in*-8° ,247 *pp.* 1928. *Leipzig. Otto Harrassowitz. Prix* : 20 *M.*

مستندات لتاريخ قديم لبلاد البحر المتوسط الاسيوية

يعتقد الدكتور كارست انه برهن في تآليفه السابقة ان البلدان الواقعة على شواطئ البحر المتوسط كانت آهلة ، قبل ان تصل اليها الشعوب السامية والحامية ، بسكّان من عنصر واحد . وان هؤلاء السكّان كانوا اصل جدود الفريجيين ، والارمن ، والحثيين ، واصل جدود البشكنش (*Basques*) والايبريين . وهو يبحث ، في مجلده هذا ، في صفة الاسماء المستعملة عند هؤلاء الشعوب وفي آلهتهم واساطيرها ويقابل بينها مستنداً خصوصاً الى الاشتقاق اللغوي . وها نحن نذكر مثلاً واحداً من اجائبه كافياً للدلالة على غرابة نتائجه : فهو يزعم ان « هللويا » التي يستعملها العبرانيون ، وشهادة المسلمين « لا اله الّا الله » تشتقان من انشودة كانت الشعوب المتقدمة على سكان البشكنش تمجّد بها الاله « ليلو-لينوس » كذا (ص ١٠٠ وما بعدها) ر . م .

Ath. G. Politis : L'hellénisme et l'Egypte moderne. t. I Histoire de l'hellénisme égyptien de 1798 à 1927. *in* - 8° *de* 530 *pp. Prix* : 50 *f*. *Paris, Alcan*, 1929.

التأثير اليوناني في مصر العصرية

يهتمّ مؤلف هذا الكتاب القيم بتاريخ اليونان في مصر وتطوّر تأثيرهم في القرن التاسع عشر وسيخصّ المجلّد الثاني بذكر مبلغ هذا التأثير في مصر العصرية . ومن المعلوم ان الجالية اليونانية في مصر اكثر الجاليات الاجنبية عدداً . اما كيفية تنظيمها ، والروح الذي يهيب بها ، ومواردها واعمالها فيعرفها من يطالع الكتاب . وفيه الوثائق العديدة مرتّبة وواضحة بفضل ما للمؤلف من المركز العالي بين ابناء جلدته في القطر المصري . اما اقسام الكتاب فثلاثة في

سبعة فصول تبدأ بمقدمة عن اليونان في مصر القديمة ، ثم تاريخ اليونان في زمن الاحتلال الفرنساوي ، ثم على عهد محمد علي فعلى عهد نظام الجاليات اليونانية الذي يبتدئ بنظام جالية الاسكندرية سنة ١٨٤٣ ج. ل.

Dr J. R. Mucke : Die Urbevoelkerung Griechenlands und ihre allmähliche Entwickelung zu Volksstämmen, *IIer Halbband. in-8°, 319 pp. Leipzig, Weigel,* **1929.**

سكان اليونان الاقدمون وتحولهم الى شعوب مختلفة

كان ساكنو بلاد اليونان ، في العصر السابق للتاريخ ، ينتسبون لشعبين اصلين يدعى الاول منهما « وليد الشجر » والثاني « وليد الحجر » يعيش الاول في السهول والمستنقعات في مساكن مستطيلة الشكل ترتكز على اوتاد مغروزة في المياه ، والثاني يسكن مغاور الجبال فالاكواخ المستديرة . فحدث ان احد سكان الجبال تزوج احدى بنات السهول فحصلت اللحمة بين الشعبين الاصلين وكان ذاك « الزواج المقدس » الذي تنسبه الاسطورة الى زفس . وهكذا تنكر هذه النظرية كل رأي خالفها في حالة اليونان قبل التاريخ ، وخصوصاً ذاك الوهم القائل انه كان في الاصل شعب هندي - جرماني تحدر عنه اليونان واللاتين . هذا وان ما قام به المرحوم الاستاذ دي دوربا من نقد كل ما تقدمه من النظريات والآراء لجدير بالاهتمام . على ان نظريته تظهر خيالية اكثر منها علمية . ر. م.

Itinerario di Ludovico di Varthemia a cura di Paolo Giudici, con prefazione, note, bibliografia e incisioni fuori testo [*Viaggi e scoperte di navigatori ed esploratori italiani, n° 2*] *Prix : L.* 18. *Edizioni « Alpes », Milano.*

رحلة فرثما

لقد باشرت مؤخراً شركة النشر الميلانية المدعوة « الپس » مجموعة سمتها « رحلات واكتشافات البحارة والرواد الايطاليين » وقد اهدت الينا هذا الكتاب وهو الثاني من مجموعتها . ونحن اذا اعتبرناه مثالاً لجميع منشوراتها فلا يسعنا الا الثناء على المجموعة وعلى الفكرة التي اوجدتها . حجم الكتاب موافق ،

وطبعه جيّد ، وفيه عدّة خرائط ورسوم قديمة ، وله مقدّمة طويلة ، وعليه حواشٍ مفيدة ، مما يسمه بصفات المنشورات العلمية النفيسة . اما النصّ المطبوع ففي غاية الاهمية ، وكاتبه ڤرتيما من اشهر قدماء الرحّالة المغامرين يقرن الى ذلك دقة في الملاحظة وفكاهة واخلاصاً في الاخبار . وقد مرَّ في رحلته على الاسكندرية والقاهرة ، وبيروت ، وحلب ثم قام من دمشق سنة ١٥٠٣ قاصداً بلاد العرب ، فالحبش ، فبلاد فارس ، فالهند ، فبحار ماليزيا ، فكان اول اوربي يجول فيها .

A. Delacour de Brisay : L'Université d'Oxford et la vie universitaire en Angleterre. *petit in-8°, orné de photogr. Prix* : 18 f^s^. *Paris, Librairie Fischbacher*.

جامعة اكسفرد والحياة الجامعية في انكلترة

المؤلف استاذ اللغات العصرية في كلية بدفورد ، وقد كتب كتابه هذا لجمهور المتكلمين بالفرنسية فحقّ له عليهم كل شكر . لانه ليس من السهل ان يعرف هذا الجمهور تاريخ الجامعات الاجنبية ، ولا ان يقف على مجرى حياتها . ولاسيا ما كان منها جامعة بابوية قديمة كاكسفرد ذات تاريخ طويل مجيد . اما اكسفرد العصرية بما فيها من حياة دراسة ، وامتحانات ، وبرامج ، فغاية في العجب والغرابة وقد قال عنها المؤلف في مقدمته : « ليس في عالمنا الحاضر الذي يشوّهه العصر بزخارفه اجمل ولا اروع من اكسفرد المحافظة على القديم ! »

ج . ل .

Dr Louis Perrier : La préhistoire de la Palestine et la Bible. *broch. 8° de 40 pp.* 1928. *Prix : 2 f.,50. Paris, Librairie Fischbacher*

فلسطين السابقة للتاريخ

رأى المؤلف ان يزيل ستار الغموض عن عهد فلسطين السابق للتاريخ فاستعمل في ذلك ما وصلت اليه اكتشافات الآثار القديمة ، وما ورد في التوراة ، وفي الاقاصيص الوطنية ، فنجح نجاحاً لا بأس به ، مستخرجاً من كل ما عرضه بعض الاعتبارات في الفلسفة والاخلاق . وقد زيّن كتابه بخارطة وسبعة رسوم .

R. Plus s. j. : La Sainteté catholique. [*Biblioth. cathol. des Sciences religieuses*] *Prix* : 10 *f*. *Paris, Bloud et Gay.*

القداسة الكاثوليكية

كثيرًا ما نسمع البعض يدّعون انه لم يبقَ قديسون في عصرنا . على ان الواقع يكذّب ادعاءهم فان الكنيسة الكاثوليكية تهيّ اليوم، كما هيأت بالامس، لجميع ابنائها مثلًا اعلى ومبادئ متناسقة تتحد بنظام دقيق ومعونات نافعة فتقود من شاء منهم الى القداسة . وهو ما يتوسع فيه المؤلف في هذا الكتاب، وينظر ايضاً الى الوجهة التاريخية من البحث فيوفي الموضوع حقه من جميع وجوهه.

ج. ل.

Les colonies italiennes. *n° spécial de la revue « La Vie technique et industrielle », Paris. Prix* : 15 *f*.

المستعمرات الايطالية

هي فكرة حسنة تحققها هذه المجلة بتخصيص اعداد مستقلة بدرس المستعمرات. اما هذا العدد المخصص بالمستعمرات الايطالية فيمتاز بان المعلومات فيه واردة عن اوثق المصادر الا وهي مصادر السلطات الحاكمة في تلك البلاد ومصادر المنشورات الوطنية . وقد اردف بالكتاب فصل مهم عن المهاجرة الايطالية، مما يسهّل على المطالع معرفة اتساع النفوذ الايطالي على اختلاف مظاهره

Edmond Renard : Renan, les étapes de sa pensée. 1 *vol. de* 228 *pp. Prix* : 14 *f*. *Paris, Bloud et Gay.*

رينان وتطوّرات فكره

عُرف مؤلف هذا الكتاب بترجمة حياة الكردينال ماتيو . وها هو اليوم ينشر كتاباً عن رينان لا ليترجم حياته التي تُرجمت مرّات عديدة بل ليدرس تطوّرات افكاره، والمحطّات التي توقّفت عندها فكرته المضطربة المتنقّلة، بعد الحاده، بين عبادة الثورة، وعبادة مسيح جديد، وعبادة ميترفا. ولكن رينان لم يكن يتوقف طويلًا عند هذه المحطات لانه كان احياناً يطيع عقليته المغرمة بالانكار فتهدم كل ما كان يهيب بقلبه من عواطف الهوس والاعجاب،

واحياناً كان يترك نظريّاته وينصرف عنها الى الحياة العملية. هذا وان الكتاب جدير بالاهتمام لما سار عليه المؤلف من فحص النصوص والرسائل ودرسها، فحال بعمله هذا دون اتساع تلك الاسطورة الرينانية التي قال عنها باريس: «اني اتوقّع ان يتدافع الناس اسطورة رينان حتى تصبح تافهة!»

Mme Gay, L. Cousin, marianiste et le Dr E. Besson : Comment j'élève mon enfant. *N^{elle} édition destinée aux mères et aux jeunes filles. in - 12 de 700 pp. et de 220 gravures. Prix : 20 f. Paris, Bloud et Gay.*

كيف اربي ولدي

ظهر هذا الكتاب سنة ١٩٢٧ وقد وصفناه في المشرق (٢٦[١٩٢٨]٣١٣) وها هو في طبعته الجديدة بعد ان حوّرت فيه بعض الامور فاصبح صالحاً للآنسات اللاتي تجاوزن السنة السادسة عشرة يطالعنه ويستفدن منه بعد ان عرف الجميع ما فيه من الفوائد الجمّة. فنتمنى لهُ مزيد الانتشار فيزداد عدد الأمهات العاقلات فيربين اولادهن على المبادئ القويمة

Dr Mohammad Sharaf : An english-arabic Dictionary of Medicine, Biology and allied Sciences. *in 4° Government Press*, 1929. *Prix : P. T.* 150.

معجم شرف انكليزي - عربي

ليس تأليف قاموس انكليزي عربي عصري، يضم نحو خمسين الف كلمة وتعبير، من علم الطبيعة والكيميا. وعلم الحيوان والنبات والطب والجراحة والصيدلة، ليس ذلك من الهنات الهيّنات، لعدم وجود قاموس سابق، من هذا النوع، يمهّد الطرق امام المؤلف ويخفف عليه عناء التنقيب في منشآت المؤلفات، من قواميس معتادة وكتب ومجلات علمية، عربية وفرنجية. ذلك الجهد الجهيد قد بذله الدكتور محمد شرف، مدة سنين متواصلة، في اوقات فراغه المحدودة باقدام ونشاط وثبات ومهارة يستحق عليها اوفر الثناء. هذا القاموس الفريد في بابه، الغني للغاية بالاوضاع العلمية الشتى، ولاسيما الطبية، واقع بطبعته الثانية هذه، في ٩٧١ صفحة كبيرة ذات عمودين، وقد ضبط

كثير من الالفاظ العربية بالحركات اللازمة لسهولة القراءة وصحتها.

أكد لنا المؤلف في مقدمته انه لم يُدرج من الالفاظ العلمية العربية الّا ما ثبت لديه عروبته المحضة ، فان لم يهتدِ الى الكلمة العربية ، صاغ من جذور اللغة ما رآه الاوفق لتأدية المعنى المقصود ، او استخدم اللفظة الفرنجية ، الشائعة في اكثر لغات اوربة. لا ادري هل اصاب دائماً في تفضيل احدى هاتين الطريقتين على الاخرى ، بحسب الظروف ؛ ومن جهة اخرى يضيق المقام عن ابداء رأيي فيها. ومن مُحسِّنات هذا القاموس الجميل اضافة تحديد موجز لكثير من الالفاظ العلمية العربية ، و إتبـاع عدّة اسماء فصيحة للحيوانات والنباتات بما يقابلها في اللهجة العامية المصرية ، واخيراً الاشارة الى كون كثير من الاوضاع العلمية العربية موجودة في مؤلفات ابن البيطار وابن سينا. وفضلاً عن هذه المزايا ، قد صحّح الدكتور محمد شرف ، في هذه الطبعة الثانية ، مـا اهتدى اليه من الاغلاط في تحديد الكلمات وفي اسلوب كتابتها. زد على كل ذلك اتقان الطبع بحروف واضحة جدًا ، وعلى ورق صقيل الغاية ، ترَ ان هذا القاموس ، الذي هو اول قـاموس علمي عربي عصري وافر المواد ، هو مأثرة من اكبر مآثر النهضة المصرية الحديثة. ر. ن.

بدر التمام في شرح ديوان ابي تمام

للدكتور ملحم ابراهيم الاسود

الجزء الاول ، ص ٤٧٢ كبير – الناشر الياس قوزما ، مطابع قوزما ، بيروت ١٩٢٨

لم يطبع ديوان ابي تمام طبعة علمية بعد. ولم نكن نعرف له سوى طبعتين: طبعة مصطفى وهبي سنة ١٢٩٢ هـ . (١٨٧٥) وطبعة محمد جمـال مع تفسير بعض الالفاظ اللغوية بقلم الشيخ محيي الدين الخياط. اما الاولى فسقيمة الطبـع غفل من الشكل فضلاً عن انها اصبحت نادرة الوجود . واما الثانية فغير وافية الشرح . ولهـذا رأى حضرة الدكتور ملحم ابراهيم الاسود ان يقوم بطبعة جديدة تليق بالديوان. فاختار له حرفاً جلياً وورقاً صقيلاً ومثّل الابيات بالشكل الكامل ، والحواشي بحرف صغير واضح ، وقدّم على الكتاب مقدّمة في الشعر ثم اورد ترجمة ابي تمام مستنداً الى ما كتبه محمد سعيد بك في آخر الطبعة الاولى

للديوان المذكورة اعلاه ، وما ورد في دائرة المعارف ، وفي الاغاني . وقد اسهب في الشرح معتمدًا على شرّاح الـديوان الاقدمين « كالصولي والمعري والتبريزي والخارزنجي والمرزوقي والامدي والمبارك بن احمد وغيرهم » كما ذكر جارياً على نسق اليازجي في شرحه لديوان المتنبي . على اننا وددنا لو وصف هذه النسخ المعتمد عليها وذكر اماكن طبعها ، او محلّ وجودها ان كانت لا تزال مخطوطة . هذا وقد وقـع في الكتاب بعض الاغلاط اكثرها تنسب للطبع فانتبه لها الشارح واشار الى انه سيستدركها في آخر الجزء الثاني . اما هذا الجزء فكله في المدح يحتوي على ١٠٧ قصائد ومقطوعات مرتبة على الحروف الابجدية منتهية بحرف الفاء . وهو أثر نافع يشكر عليه حضرة الشارح الفاضـل ويحسن بجميع طلاب الادب اقتناؤه ف . ا . ب .

ديوان النابغة الذبياني

صححه وحلّ غريب الفاظه الشيخ عبد الرحمن سلام

١١٧ ص وسط ، عني بنشره محمد جمال صاحب المكتبة الاهلية ، مطبعة المصباح ، بيروت ، ١٩٢٩

اما ديوان النابغة فله طبعة علمية نفيسة قديمـة عني بها المستشرق هرتويغ ديرنبورغ (Derenbourg) في باريس سنة ١٨٥٩ ، فنشر النصّ بالشكل الكامل ، وترجمه الى الفرنسوية وقدم عليه بحثاً تاريخياً ضافياً ، واردفه بحواش وشروح واسعة . وكانت المكتبة الاهلية نفسها قد نشرت الديوان ، قبـل الحرب ، وعليه شرح للبطليوسي . فاعاد فيه النظر حضرة الشيخ عبد الرحمن سلام وذكر (ص ٥) انه اصلح نسخة مخطوطة للديوان ، ولكنه لم يصفها ، فاعاد ما فيها من «خطأ صريح الى صواب صحيح». ف . ا . ب .

الروائع

دروس ومنتخبات بقلم فؤاد افرام البستاني استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

المطبعة الكاثوليكية — بيروت — سلسلتان في ١٢٨٠ ص ، صغير

لم يذكر المشرق الا بعض حلقات من الروائع : الشعر الجاهلي — الشنفرى — المهلهل — ابن بطوطة . اما الآن وقد انتهت السلسلتان الاولى والثانية من هذه

المجموعة الشائقة ، فقد حان الوقت للنظر الى ما لم يذكر منها بعد.

١ — علي بن ابي طالب: نهج البلاغة — «لم تكن المجادلات بين السنيين والشيعيين الا لتزيد الرجل سموًا...» وعلى آثار علي ستر كثيف من الشك اما انشاء علي فكامل بالمعنى البياني ؛ وقوى الشعور والمخيلة والعقل فيه متناسبة. وقد انتُخب لـه فصول في الحكم والآراء والاجوبة والرسائل والوصايا والادعية والخطب.

٧ — امرؤ القيس — قد تكون اسطورة حلته المسمومة اختراعاً شعريا اساسه مرض الجدري الذي اصيب بـه في انقره وسمي من اجله «ذا القروح» لـه منتخبات منها المعلقة واشعار في الرثاء والتهديد والمديح والهجاء والوصف...

٨ و ٩ — ابن عبد ربه — وهو في مقدمة العاملين لتأسيس المدنية الاسبانية الغنية . وكتابه «العقد الفريد» اقدم المصادر للفوائد الادبية واخبار الشعراء وحوادثهم ؛ ومن روائعه كتاب اللؤلؤة في السلطان ، والفريدة في الحروب ومدار امرها ، والزبرجدة في الاجواد والاصفاد ، والجمانة في الوفود ، والمرجانة في مخاطبة الملوك ، والياقوتة في العلم والادب ، والجوهرة في الامثال ، والزمردة في المواعظ الخ...

١٠ — مجموعة من شعر ابي العتاهية مع مقدمة في ترجمته وشعره استلّها الاب شيخو من طبعته لديوان ابي العتاهية سنة ١٩١٤ ، وهي مشكلة بالحركات وفيها فصول في المديح والتهاني وحسن التوصل والعتاب والهجو والرثاء والتعازي والاوصاف والامثال.

١١ و ١٢ — ابو الطيب المتنبي: المدائح والاهاجي ، والمراثي والمفاخر والحكم ، درسه الاستاذ البستاني ونشر نتيجة مباحثه في الروائع ، وفي مقالين شائقين ظهرا في المشرق. وعالج مثله ابا فراس الحمداني (١٦) والجاحظ (١٨، ١٩، ٢٠).

وخص الحلقات ١٣، ١٤، ١٥ بابن خلدون «الرجل السياسي الحازم ، والفيلسوف الاجتماعي ، والكاتب الشخصي» والحلقة (١٧) بابي العلاء وحياته وفلسفته ومؤلفه الشهير «رسالة الغفران».

وان كتب الروائع لاغزر مادة من ان يسوغها المطالع لقراءة واحدة ، واوسع نطاقاً من ان تتقصى ارجاؤها جولة مستعجلة ، وعليها نزعة الكتب المدرسية لما بذيلوا من الشروح والفوائد ، وصبغة المؤلفات العلمية لما فيها من ذكر المصادر ، مع النظرات البعيدة المرامي في المقابلات الادبية ، والتفتيش عن المبادي والعلل المنتجة للمؤلفات المفيدة نشأتها وازدهارها ، المؤدية بها الى حسن الوقوع في نفوس القراء او سيئه ، وتلك هي الطريقة العلمية المثلى.

وقد راقني خاصةً ما كتبه البستاني في درسه على المتنبي وعلى ابي العلاء ، وقد جهد النفس في التماس السبيل الى معرفة نفوس المؤلفين ووصفها ، فتوفق كثيرًا الى باوغ مآربه ، وحدثنا عن افكاره بدقة وتعبير جدير بالثناء على ما في التحليل الادبي من العقبات التي لم يذللها لنا الاقدمون . فوصف الحالات النفسية وتطوراتها ، وتأثيراتها وشعورها ، واتانا بالجديد . واذا اضفت الى تلك المحاسن ما نعرفه عن ثمن الروائع الزهيد ، وجدتها قريبة المنال من الكبير والصغير ، من الغني والفقير ، وقيمة الكتيب منها القرش الذهبي الواحد ، ولمست الاسباب التي ادت بها الى النجاح حتى تهافت مريدوها من الشرق والغرب على المطبعة الكاثوليكية لاقتنائها حلقات وسلاسل.

ف . ت .

* يوسف ابراهيم يزبك : مأساة المواشي البشرية في طريقها الى بلاد الله * مطبعة المصباح ، بيروت — هي مقالة مسهبة فيها وصف اعادة المهاجرين السوريين واللبنانيين من مرسيليا الى بيروت فهي لسان حال شكواهم وشكوى البلاد من تلك المعاملات الجائرة التي عوملوا بها .

* توفيق عواد : الادب العربي وما ينقصه لمجاراة الآداب الراقية * مطبعة الاقتصاد ، بيروت — محاضرة فيها آراء جديرة بالاهتمام وقد اردفها صاحبها بقصيدة في حبه للغة العربية.

* اعمال الجمعية الخيرية لطائفة السريان الكاثوليك بحلب عن سنتي ١٩٢٧ — ١٩٢٨ * كراس جميل الطبع مزين بالصور مفصح عن حسنات المليين كافأهم الله.

* مكتبة يوسف اليان سركيس واولاده شارع الفجالة مصر * كتب قديمة وحديثة في جميع الفنون.

* الدنيا المصورة * ارسلت الينا دار الهلال العدد الاول من هذه المجلة وقد برزت في شكل اقرب الى شكل «الالوستراسيون» الافرنسية وثمن العدد منها ١٠ مليات.

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ نيسان — ١٥ ايار

في ٧ ايار، انتقل الى رحمته تعالى، في القاهرة، المثلث الرحمات السيد اغناطيوس افرام الثاني رحماني، بطريرك السريان الانطاكي. خسرت به الطائفة السريانية والشرق المسيحي اجمع، ابًا ومعلمًا وراعيًا، سطع كوكبه في سمائنا سحابة نصف قرن فلم تحجبه غالبات الشدائد والمحن وظل الى ساعة افوله نورًا مرشدًا للمؤمنين في سبيل الخلاص.

ولد في الموصل في ٧ تشرين الثاني ١٨٤٨، وسيم كاهنًا في ١٢ نيسان ١٨٧٣، فانصرف الى خدمة النفوس، في بلدته. وفي ٢ تشرين الاول ١٨٨٧ رفع الى درجة رئيس اساقفة الرها، وفي اول ايار ١٨٩٤ نقل الى حلب، وفي ٩ تشرين الاول ١٨٩٨ انتخب بطريركًا ونال تثبيته من رومة في ٢٨ تشرين الثاني ودُعي اغناطيوس افرام الثاني.

وان الله تعالى منّ عليه بمواهب غزيرة، اهمها ذلك العمر الطويل الذي فسح له مجالًا للقيام بمشاريع خطيرة. تفقد شؤون ملته نيفًا وعشرين مرة في جميع الاطراف، ورسم عشرة احبار ونيفًا وخمسين كاهنًا ومئات من الشمامسة، وكرس الميرون ثلاثين مرة، وشاد كنائس ومعابد تفوق العشرين عددًا اخصها في ديار بكر والقدس وبيت لحم وحمص وحماه وخربوط وطور عبدين، ورمم دير مار بهنام بجوار الموصل ووقف له العقارات، وبنى دارًا فخمة للبطريركية في ماردين، واستحصل بهمته كنيسة للطائفة في رومة وغيرها في باريس. واسس المطابع في الشرفة وفي بيروت، ونشر الكتب التاريخية والطقسية، وانشأ مجلة «الآثار الشرقية» وحاز مقامًا رفيعًا لدى الاحبار الرومانيين فصار معاونًا للاب الاقدس على العرش ومستشارًا في المجمع الشرقي (٢٩ تشرين الثاني ١٩١٧) وكان له القدح المعلى في نواله من الاب الاقدس اذاعة مار افرام السرياني ملفانًا للكنيسة الكاثوليكية جمعاء. وامتاز رحمه الله بعبادته لسيدتنا مريم العذراء فكان يتلو سبحتها كاملة كل يوم ويستغيث بها في المصائب وخاصة في الحرب العظمى. وان المقام لاضيق من ان نتوسع في تأبين الفقيد وحسبنا ان نروي شذرة من التحرير البابوي الذي خصه به بيوس الحادي عشر في ٢٠ ايلول ١٩٢٣ لخمس وعشرين سنة قضاها على السدة البطريركية فبلغ بها يوبيله الفضي.

«ان عواطف محبتنا نحو اخوتنا بالاسقفية تزداد طبعًا مع ازدياد اتصالهم بالكرسي الرسولي؛ وانك لم تنفك، في زمن من الازمنة، تظهر ولاءك الوثيق العرى بشخص الذين سبقونا وبشخصنا؛ ذلك الولاء الذي رضعته في حضن الام اي في المدينة التي ربتك في مدرستها فتىً منكبًا على العلوم ومحطة آمال الكنيسة الشرقية. لقد جاهدت كثيرًا بين ذويك في سبيل الكثلكة

ايام ادارتك المديدة ، وبذلت من الاتعاب اصلاحاً لما افسدته الحرب الاخيرة ، ما لا سبيل الى ذكره الآن بل حسبي التنويه بالاعمال التي اخذت على عاتقك القيام بها متعهداً بحكمة وصواب نشر الآثار السريانية القديمة واذاعة المؤلفات الطقسية والتاريخية مع التعليق عليها ؛ ومما زادها رونقاً في اعيننا اننا صرفنا همتنا الى اعمال مثلها قبل انصرافنا عنها الى ما هو فوقها سمواً.»

وقد اقيم للفقيد الجليل مأتم عظيم في القاهرة اولاً (١٢ ايار) ثم في بيروت (١٨ - ١٩) مثل فيه ممثلو السلطة الروحية والزمنية . وصدرت يوم وفاة البطريرك ٨ ايار برقية من رومة تنزي الطائفة السريانية. وتعين لها نائباً رسولياً مدة فراغ الكرسي السيد ديونيسيوس جبرائيل تبوني رئيس اساقفة حلب السرياني.

ومن اخبار رومة انه في ٢١ نيسان اقيمت حفلة الفاتيكان بحضور الحبر الاعظم تليت فيها المراسيم الخاصة باعلان دير غوميداس الخوري الارمني الشهيد طوباوياً.

انفكت قيود مدينة حمص بعد ازمة طالت اسابيع وتعهد رئيس البلدية بتسليم اللصوص السلطة اذا ما عادوا ودخلوا المدينة.

ومن اخبار البادية ان الامير نوري الشعلان تصالح مع زعماء القبائل.

في اواخر نيسان طغى نهر الفرات طغياناً لم يسبق له مثيل منذ ٤١ سنة . فانقطعت المواصلات بين العراق وسورية ولبنان وغمرت المياه اراضي الجزيرة بالقرب من دير الزور وجرفت بناياتها ، وخربت الطرق ، وارتفعت عن المعدل المعتاد ستة امتار وعشرين سنتيمتراً ، وبلغ عرض النهر في بعض الاماكن ٩ كيلومترات.

وهطلت الامطار في سائر الانحاء الشرقية من الفرات الى الاردن فانعشت آمال الفلاحين وخاصة في البقاع حيث اقيمت اجتماعات رقص فيها الاهلون فرحاً في مناسبة خميس الدعسة . وان لم يفتك الجراد بالمزروعات فسوف تعوض هذه السنة كثيراً من خسارات البلاد الزراعية في السنين الاخيرة.

مما يجدر ذكره عن حركة التجارة والمهاجرة ان باخرة واحدة انكليزية نقلت ٢٦٠ سيارة وغيرها اميركية ٧٧ سيارة الى بيروت مع صناديق عديدة تحتوي قطعاً وآلات ومواد صناعية ويبلغ ثمن الجميع زهاء ٢٠٠ الف ليرة ذهبية. وعاد الى البلاد اللبنانية والسورية في خلال الاشهر الثلاثة الاولى من هذا العام ٩٨٦ شخصاً وسافر منها ١٤٤٥ ، ودخلها من الاجانب ٢٠٠٨ وغادرها ١٦٥٥ .

ما زالت علاقاتنا متوترة مع جيراننا الشماليين ولا تمضي اسابيع الا ويبلغنا خبر تلصص على الحدود السورية - التركية.

اخذت آمال الفلسطينيين تزداد يوماً عن يوم في بناء مرفأ حيفا وهم يشاهدون الاستعدادات المادية في ذلك السبيل.

ف. ت.